توظيف النص الشعرى فى المصادر القديمة

دراسة فى أدب الجاحظ (البيان والتبيين)

د. شكرى بركات إبراهيم

كلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس

يشغل الجاحظ مكانة سامية بين كتاب النثر العربى ونقاده وأدبائه ومفكريه، ولعل أهم كتبه الأدبية كتابه (البيان والتبيين)؛ إلا أن أظهر ما فيه ذلك الحشد الضخم من الشواهد الشعرية التى استرعت اهتمام الباحث فحاول أن يترسمها مستقصياً مصادرها وطريقة عرضها وتوظيفها. ومن هنا كان هذا البحث الذى يحمل عنوان (توظيف النص الشعرى فى المصادر القديمة: دراسة فى أدب الجاحظ "البيان والتبيين" دراسة تأصيلية توظيفية) .

يعد كتاب البيان والتبيين فى حقيقته الإبداعية والنقدية رسالة محددة للعالم يرسلها مبدع الكتاب إلى متلقيه بعد أن قام هو نفسه بتلقى مادته واستيعابها من عيون التراث العربى، فقام بدوره مبدعاً ، يفسر لنا ذلك سر اختياره لعنوان الكتاب "البيان والتبيين"، ففى تفسير الجاحظ لمعنى البيان يتضح لنا أنه بمعنى "الإبانة" عند المبدع عن المعنى النفسى الذى يجول فى خاطر الإنسان وفى فكر المبدع إذ ينقل الجاحظ هذا التعريف من كلام الجهابذة حيث يقول : "قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعانى: المعانى القائمة فى صدور الناس المتصورة فى أذهانهم، والمتلجلجة فى نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة فى معنى معدومة ، وإنما يحيى تلك المعانى ذكرهم لها وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها. وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفى منها ظاهراً، والغائب شاهداً.. والدلالة الظاهرة عن المعنى الخفى هى البيان الذى سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحث عليه . وبذلك نطق القرآن .. والبيان

اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضميره، حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أى جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأى شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع" [١] . فالبيان كما يفهم من كلام الجاحظ هو هدف المبدع وطريقته فى إبداعه شعراً أو نثراً أو غيره.

وأما التبيين فهو هدف وطريقة السامع أو القارئ أو المتلقى عموماً حيث يقول الجاحظ: إن مدار الأمر والغاية يجرى إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام...إلخ) فوظيفة السامع أو القارئ أن يسعى إلى الفهم مثلما سعى المبدع إلى الإفهام ويقول الجاحظ فى موضع آخر: (وأبين الكلام كلام الله وهو الذى مدح التبيين وأهل التفضيل وفى هذا كفاية إن شاء الله) [٢] وعليه فإن الكتاب برمته كأى رسالة أخرى رسالة بين اثنين: القارئ والسامع، يسعى الأول إلى الإفهام أى البيان ويسعى الثانى إلى الفهم أى التبين أو التبيين، وإن كنا نرى أن العنوان كان يجب أن يكون "البيان والتبين" لأن "التبين" أقرب إلى الدقة ويتوافق مع طرفى التوصيل فى النص الأدبى وهما القارئ والمستمع وهى العلاقة التى تنصب أساساً فيما قاله الجاحظ: الفهم والإفهام وبدقة أكبر "الإفهام والفهم" وهو ما تؤيده المادة المعجمية لكلمة (بيان) وكلمة (تبين)، كما تؤيده المادة المعجمية لكلمتى: إفهام وفهم. فالإفهام وظيفة المبدع (أى البيان)، والفهم وظيفة المتلقى أى (التبين- التبيين). ولذلك يصر الجاحظ على دمج العلاقتين بطريقة التضمين فى قوله: (وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأنور كانت أنفع وأنجح) [٣] .

وبناءً على ذلك يقف الجاحظ نفسه هنا فى دائرة المبدع الذى يحاول أن يفسر ويوضح طرق الإبانة والإفهام بعدما وقف أمام التراث السابق عليه موقف المتلقى الذى أجاد الفهم والتبيين.

والجاحظ فى هذا الكتاب يحاول أن يقدمه مجموعة من القضايا المختلفة التى تتصل بمجالات متعددة كاللغة والأدب والفكر والاجتماع...وغيرها ، ويقدمها بوصفه مبدعاً فيحسن عرضها بعد أن درسها وفهمها وجمع براهينها بدقة،فقام بدورين معاً هما دور المتلقى أولاً، ودور المبدع ثانياً.

ويلاحظ على الجاحظ أنه التزم فى الكتاب بدور المبدع وأخفى دور المتلقى، فقدم دور إفهامه هو لما فهمه فى تراث العرب عن البيان وشروطه وآلياته ونماذجه بين البلغاء والفصحاء والخطباء وما يضاد هذه النماذج من كلام النوكى والحمقى والسخفاء. ووجه الكتاب إلى كل قارئ يتناوله من عصره إلى عصرنا، طالباً منه أن يقوم بدور الفهم لما يلقيه إليه من معارف تتعلق بمادة الكتاب، وهو يقصد أن يقوم بعديد من الوظائف تنطلق كلها من طبيعة الإفهام لتتدرج إلى معانى الإخبار والتعلم وغيرها.

إن الوسيلة الأساسية التى استغلها الجاحظ لإبراز هاتين العلاقتين الجدليتين: الإفهام والفهم، كانت فى المحك الأول القدرة الهائلة على استنزال وتوظيف الشاهد الأدبى فى عمومه والشعرى فى خصوصه.

وتتخصص هذه الدراسة فى كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ متبعة المنهج التحليلى التذوقى مع الاستفادة بالمناهج المحدثة مثل الأسلوبية الوظيفية Funetional stylistics ويهدف هذا البحث إلى دراسة الشاهد الشعرى دراسة تتعمق فى أصوله ومصادره التى تشغل مساحة كبيرة تمتد عبر فترة زمنية تشمل العصور الجاهلية والإسلامية والعباسية، كما يهدف إلى التعرف على طريقة الجاحظ فى تنظيم وترتيب هذا الخضم من الشواهد داخل نظريته عن البيان وعلاقة ذلك بنظريته عن البيان، كما يطمح إلى كشف خفايا توظيف الجاحظ لهذه الحصيلة الشعرية الكبيرة مفترضاً أن الشاهد الشعرى عند الجاحظ ما هو إلا نتاج لصراع بين طريقتين: طريقة الجاحظ، وطريقة الناقد، وأيتهما تفضى إلى الأخرى عند الجاحظ.

وفى الإجمال فإن البحث يحاول بشكل أدق إلى كشف العقلية الجاحظية القادرة على تنظيم هذا الخضم داخل الكتاب.

وكثيرة هى تلك الدراسات التى تناولت النص الشعرى كشاهد دال ضمن قضايا بلاغية أو أصولية أو نحوية فى كتب البلاغيين أو كتب النحويين أو كتب الأصوليين أو كتب الفقهاء... وغيرهم، لكنها قليلة جداً تلك الدراسات التى تتعامل مع النص الشعرى كشاهد فى الكتب النقدية والأدبية، وفى رأيى أن الدراسات التى تتناول النص الشعرى فى كتاب البيان نادرة وما نجده فى الدراسات التى قامت على الجاحظ مجرد تلميحات إلى النص الشعرى كما فى دراسة نورى جعفر: (كتابان بين الجاحظ وجورج بورنارد شو وجائزة نوبل)[٤] وهى دراسة تتناول الجاحظ بصفة عامة وتتحدث عن عصره ومجتمعه ومواقفه من قضايا عصره ومجتمعه ، كما ظهر فى رسائله: فى استحقاق الإمامة- فى صناعات القواد- فى القيام...وغيرها ، وذلك فى عدد من القضايا السياسية والاجتماعية الشائكة فى عصره فى مقارنة بينه وبين جورج بورنارد شو. ولا نجد فى هذه الدراسة شيئاً عن (البيان والتبيين).

ودراسة محيى الدين اللاذقانى: (آباء الحداثة العربية: مدخل إلى عوالم الجاحظ والحلاج والتوحيدى)[٥]. وقد قسم دراسته إلى مداخل ثلاثة: الأول عن الجاحظ وتابع فيه مظاهر الحداثة عنده وتتمثل فى رؤاه الباحثة عن مخاطبة الإنسان فى كل زمان ومكان . وإن رسائله تنطق بنقد الواقع الاجتماعى والسياسي حوله مثل مناظراته بين الكلب والديك، ويقصد بها هجاء الفرس ، وأحاديثه عن الإمامة وتعصبه للجنس العربى، وحديثه عن فخر السودان على البيضان. والكاتب يستقرئ فيها رسائله المتعددة دونما اقتراب من كتاب البيان إلا فى إشارة بسيطة عن منزلة الكتاب بين كتب الجاحظ.

ودراسة محمد الصغير بنانى: (النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين)[٦]. وهى دراسة تتخصص فى البيان والتبيين من وجهة لغوية تتناول ظروف الكتاب التاريخية والحضارية وخطته ونظرية الكلام فيه من خمس نواح هى:

- إطار النظرية.
- نظرية الدلالات.

- نظرية اللغة.

- نظرية اللفظ والمعنى.

- نظرية المطابقة.

ثم نظرية البيان ومفهومها، ونظرية البلاغة وقضاياها ، ونظرية الأدب.

وهى دراسة على جانب كبير من الأهمية لأنها تلم بأطر مختلفة كاللغة والبلاغة والأدب. وتقترب دراستنا منها فى مواضع كثيرة، غير أننا نختلف معها فى محور التناول وهو المنهج، فمنهج دراستنا يلجأ إلى اتخاذ الأسلوبية منهجاً للتناول فى التركيز على عناصر الاتصال مع التفاتنا إلى وظائف عناصر الاتصال من بلاغية وشعرية بينما تسلك دراسة البنانى مسلك (الطريقة الاستقرائية السائدة فى كثير من الدراسات الأدبية واللسانية التى تعتمد على الإحصاء والمقارنة)(٧) . ويعنى ذلك أن دراستنا تفارق موضوعات تلك الدراسة فى نواح كثيرة، مع التنويه إلى أن دراستنا سوف تفيد من تلك الدراسة القيمة.

وقد وجدت أن الدراسات التى تناولت هذا الجانب فى كتب الجاحظ عموماً والبيان والتبيين خصوصاً قليلة ، ولذا فإن ما تطمح إليه هذه الدراسة هو الكشف عن دور النص الشعرى فى كتاب البيان والتبيين وطريقة الجاحظ فى التعامل معه. ومن أجل ذلك تحددت خطة البحث فى العناصر الآتية:

- **المقدمة:** وفيها نتحدث عن موضوع البحث ومنهجه وهدفه والجديد فيه.
- **المحور الأول:** مصادر الجاحظ: ويتناول المصادر المدونة (دواوين القبائل- دواوين الشعراء- المختارات) . والمصادر المسموعة.
- **المحور الثانى:** منهج الجاحظ فى عرض النص الشعرى

  أولاً: الشاهد الشعرى مجرداً.

  ثانيا: الشاهد الشعرى بتعليق الجاحظ.
- **المحور الثالث:** توظيف النص الشعرى.

  - الوظيفة الإخبارية.   - الوظيفة البلاغية.
  - الوظيفة التشويقية.   - الوظيفة الإفهامية.
- **الخاتمة:** وبها خلاصة البحث وأهم نتائجه.

المحور الأول

مصادر الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين

تتنوع مصادر النص الشعرى فى كتاب الجاحظ "البيان والتبيين" تنوعاً كبيراً، فهى إما ديوان شعر يمثل قبيلة بأكملها ، أو ديوان شعر يمثل شاعراً من الشعراء الجاهليين أو المخضرمين أو الإسلاميين أو العباسيين أو الشعراء المجهولين الذين لا نعرف أسماءهم ، أو كتب متعددة مما يدل على سعة اطلاعه واتساع دائرة استماعه للنص من الرواة أو الشعراء مما يشكل ثروة نصية تملأ الكتاب برمته. ويمكن تناول هذه المصادر على النحو التالى:

أولاً: المصادر المدونة: على الرغم من أن الفترة التى عاشها الجاحظ تعد فترة خصبة فكرياً ، ونشطت فيها حركة التأليف نشاطاً واسعاً، إلا أن المؤلفات الأدبية التى سبقته كانت قليلة إلى حد ما ، خاصة دواوين الشعر ، وهى دواوين متنوعة يدخل فيها دواوين القبائل ودواوين الشعراء وكتب المختارات الأدبية.

١-دواوين القبائل:

يرى الباحثون أن رواد الشعر الكوفيين تكفلوا برواية وجمع دواوين القبائل، فقد ذكر أن أبا عمرو الشيبانى جمع أشعار نيّف وثمانين قبيلة ، وأودع ذلك فى مسجد الكوفة ، ويرى شوقى ضيف أن هذا الخبر فيه شئ من الصحة، وذلك أن بيوتات العرب وأشرافها كانوا فى الكوفة ولم يكونوا فى البصرة، ويبدو فيما يرى د. شوقى ضيف أن هذه الدواوين كانت تضم إلى جانب رواية الأشعار قليلاً من الأخبار والأيام الخاصة بهذه القبائل ، كما تصور كتب المدائنى والواقدى وابن الكلبى. وكذلك شرح النقائض لأبى عبيدة، غير أن هذه الدواوين قد فقدت جميعها ولم يبق منها غير ديوان هذيل برواية السكرى (ت٢٧٥ هـ)، وفيه تختلط أشعار الشعراء بأخبارهم(٨) .

وربما اطلع الجاحظ على هذه الدواوين جميعها إلا أن ديوان هذيل – وهو ما بأيدينا– يثبت اطلاعه عليه واستشهاده ببعض شعرائه كأبى ذؤيب وأبى العيال وأبى خراش الهذلى.

وقد عنى الدارسون –فى العصر الحديث– باستخراج هذه الدواوين مرة أخرى غير أن ليس من الثابت أنها لبست الدواوين القديمة أنفسها التى لا نعرف عنها شيئاً، فقد جمع عبد الحميد محمد المعينى ديوان تميم وحققه(٩) وجمع حسن عيسى أبو ياسين شعر شعراء همذان فى الجاهلية والإسلام(١٠)، وجمع عبد العزيز محمد الفيصل شعر شعراء بنى قشير فى الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي(١١)، كما جمع أيضا شعر بنى عقيل فى الجاهلية والإسلام (١٢)، وقامت وفاء فهمى محمود بجمع شعر طيئ فى الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجرى(١٣)، وجمع سلامة عبد الله السويدى شعر قبيلة ذبيان فى الجاهلية فى رسالة للماجستير بآداب القاهرة وطبعه فى قطر (١٤٠٨هـ–١٩٨٧م)(١٤)، وجمع عبد العزيز النبوى ديوان بنى بكر فى الجاهلية (١٥)، وجمع عيضة بن عبد العزيز ديوان شعر ثقيف فى العصر الأموى(١٦)، وجمع عزازى إبراهيم شعر عبس فى الجاهلية(١٧)، وجمع عثمان محمد عثمان شعر مزينة فى الجاهلية(١٨)، وجمع أيمن محمد ميدان شعر تغلب فى الجاهلية(١٩).

والجاحظ يستشهد من ديوان أشعار هذيل فى مواضع مختلفة فهو يستشهد بأبى ذؤيب الهذلى فى مواضع متفرقة من الكتاب (٢٠) منها على سبيل المثال – قول أبى ذؤيب(٢١) :

لا در درى إن أطعمت نازلهم　　　قرف الحتىّ وعندى البر مكنوز

وذلك فى مجال استشهاد الجاحظ على تبديل واصل بن عطاء كلمة البر بالقمح، مع أن البُرّ أفصح وذلك لأنه كان ألثغ فى حرف الراء شديد اللثغة(٢٢).

وفى موقف آخر يستشهد الجاحظ على أحكم نصف بيت من الشعر فى مباراة بين بعض الرواة فيما ينسبه إلى أبى عمرو بن العلاء، ويستشهد الرواة بنصين من شعر الهذليين:/ الأول: لأبى خراش الهذلى هو (٢٣):

على أنها تعفو الكلام وإنما نوكّل بالأدنى وإن جلّ ما يمضى

ويقصد النصف الثانى من البيت.

وقول أبى ذؤيب[٢٤]

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُرد إلى قليل تقنع

وقد أثبت الأستاذ عبد السلام هارون أن البيت الأول من قصيدة يرثى بها أبو خراش الهذلى أخاه عروة بن مرة الشاعر الهذلى وأحد إخوته الشعراء العشرة فى نسخة الشنقيطى من ديوان الهذليين(٢٥). ويعنى ذلك أن الجاحظ قد اطلع فعلاً على رؤية السكرى لديوان الهذليين.

كما ينقل الجاحظ فى مجال الحديث عن نوادر الأعراب وأشعارهم عن ديوان الهذليين مقتطفات من شعر أبى العيال الهذلى يرثى بها عبد بن زهرة أخاه أو ابن عمه، ومنها قوله[٢٦]:

على عبد بن زهرة طو ل هذا الليل أنتحب

أخ لى دون من لى من بنى عم وإن قربوا

طوى من كان ذا نسب إلىَّ وزاده النسب

وهى قصيدة مثبته فى ديوان الهذليين وفى شرح السكرى للديوان وقد أثبت ذلك الأستاذ عبد السلام هارون محقق الديوان [٢٧]. ويعنى ذلك أن الجاحظ قد اطلع فعلاً على ديوان "أشعار هذيل" وقرأه وحفظه برواياته المختلفة وشروح السكرى عليه.

ومعنى ذلك أن الجاحظ لم يطلع على ديوان هذيل فقط وإنما اطلع على دواوين أخرى غير أن هذا ليس بين أيدينا.

ويثبت هذا أن الجاحظ قد توافر لديه كم من الدواوين الخاصة بالقبائل ومنها هذا الديوان ، وأنه قد قرأها أو نسخها بوصفه وراقاً ، وأن هذه الأشعار قد تسربت إلى ذاكرته وعرف أخبارها فبثها فى كتابه وصارت من النصوص الشعرية التى يستدل بها على آرائه.

٢- دواوين الشعراء:

إن من يتصفح كتاب البيان والتبيين يجد سيلاً هائلاً من النصوص الشعرية التى تغطى فترة تمتد منذ العصر الجاهلى وحتى وفاة الجاحظ ٢٥٥هـ أى قرابة أربعة قرون تضم عدداً كبيراً من الشعراء منهم من كان جاهليا ، ومنهم من كان إسلاميا ، ومنهم من جمع العصرين أى المخضرم، ومنهم من كان عباسياً . وتعد هذه الكثيرة من الشعراء دليلاً كبيراً على سعة وثراء ذاكرته التى استوعبت كل هذا الكم الهائل من الشعر العربى ، فيستشهد الجاحظ بشعراء جاهليين كامرئ القيس (ت٨٢ ق. هـ- ٥٤٠م)[٢٨] . وأوس بن حجر (ت ٥٥٤م) [٢٩] ودريد بن الصمة (ت٨هـ- ٦٣٠م) [٣٠] ، وسلاّمة بن جندل [٣١] والحارث بن حلّزة اليشكرى (ت٤٢ق هـ- ٥٨٠م)[٣٢] وعروة بن الورد (ت٧ ق هـ- ٦١٥م) [٣٣] وطرفة بن العبد (ت ٦٢ق هـ- ٥٦٠م) [٣٤] وزهير بن أبى سلمى (ت قبل ٦١٠م) [٣٥] والمُثَقّب العبدى (ت ٣٥ ق هـ- ٥٨٧م) [٣٦] وحاتم الطائى ت نحو عام ١٥ ق هـ- ٦٠٧م) [٣٧] والمهلهل بن ربيعة (الزير سالم) ت ٩٢ ق هـ- ٥٣٠م [٣٨] والأفوه الأودى (ت ٦٢ ق هـ- ٥٦٠م)[٣٩] وعبيد بن الأبرص (٧٧ ق هـ - ٥٤٥م) [٤٠] والشنفرى[٤١]... وغيرهم ٠ ومن نماذج هذه النصوص استشهاده بقول امرئ القيس [٤٢] فى التحذير من ميسم الشعر، ومن شدة وقع اللسان وبقاء أثره على الممدوح والمهجو:

ولو عن نثا غيره جاءنى   وجرح اللسان كجرح اليد

وفى موضع آخر يستشهد الجاحظ بقول امرئ القيس [٤٣].

له أيطلا ظبى وساقا نعامة   وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وذلك فى الحديث عن قدر الشعر فى النفع والضر . وهذا البيت من معلقة امرئ القيس التى مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ويصدق ذلك على كثير من النصوص التى استشهد الجاحظ بها لامرئ القيس.

ومن الشعراء المخضرمين يستشهد الجاحظ بشعراء من أمثال : النابغة الجعدى (ت ٦٥هـ) [٤٤] . وحسان بن ثابت (ت ٥٤هـ -٦٧٤م)[٤٥] والحطيئة (جرول بن أوس) ت ٥٩هـ - ٦٧٢ [٤٦] والخنساء (تماضر بنت عمرو الشريد) ت ٢٤هـ ٦٤٤م [٤٧] وسحيم عبد بنى الحسحاس (ت ٤٠هـ -٦٦٠م) [٤٨] والشماخ ابن ضرار (ت بعد ٣٠هـ - ٦٥١م)[٤٩] . ولبيد بن ربيعة (ما بين ٣٥-٣٨هـ - ٦٦٥-٦٦٩م) [٥٠] وكعب بن زهير (ت ٢٦هـ-٦٤٥م) [٥١] والعباس بن مرادس السلمى (ت ١٨هـ -٦٣٩م) [٥٢] ومتمم بن نويرة (ت ٣٠هـ-٦٥٠م) [٥٣] وأبو محجن الثقفى (ت ٢٨هـ ٦٥٠م) [٥٤] والأحنف بن قيس (ت ٦٧هـ-٦٨٦م)[٥٥]... وغيرهم • ومن النصوص التى استشهد بها الجاحظ لحسان بن ثابت قوله فى مدح خاله مسلمة بن مخلد بن الصامت أحد خطباء الأنصار [٥٦] :

إن خالى خطيب جابية الجو   لان عند النعمان حين يقوم

وهذا البيت من ديوان حسان من قصيدة فى يوم أحد يهجوِ بها ابن الزبعرى وبنى مخزوم يقول فى مطلعها [٥٦] .

منع النوم بالعشاء الهموم   وخيال إذا تعوز النجوم

ويقول فى مدح خاله أيضاً من قصيدة أخرى [٥٧]:

رب خالٍ لىَ لو أبصرتِه   سبط المشية فى اليوم الخَصِر

ويستشهد الجاحظ بمطلع قصيدة لسحيم عبد بنى الحساس والتى يقول فيها[٥٨]:

عُميرةَ ودع إن تجهزت غازيا   كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وقد قال له عمر بن الخطاب لو قدمت الإسلام عن الشيب لأجزتك، قال له : ما سعرت - ويقصد ما شعرت ففيه لثغة يقلب الشين سينا، ويستشهد الجاحظ به على اللثغة فى اللسان. والقصيدة مذكورة فى ديوان سحيم، ويلى مطلعها قوله : [٥٩]

جنوناً بها فيما اعتشرنا عُلالة   علاقة حب مستسراً وباديا

ويعنى ذلك أن الجاحظ اطلع على دواوين هؤلاء الشعراء المخضرمين كحسان والخنساء والحطيئة وغيرهم مما يدل على سعة اطلاعه وثراء محفوظه من الشعر العربى.

وقد استشهد الجاحظ أيضاً بشعراء العصر الأموى وتردد فى استشهاداته عدد كبير من أعلام الشعر الأموى وذلك مثل الأخطل التغلبى (أبو مالك غيات بن غوث - ٢٠هـ = ٦٤٢م/=٧١٣م) [٦٠]، وجرير بن عطية (٣٠هـ = ٦٥٠م/ ١١٥هـ) [٦١] والفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة ٢٠هـ/ ٦٤٢م- ١١٤هـ/ ٧٣٢م)[٦٢] والبعيث (خداش بن بشير بن خالد المجاشعى ت ١٣٤هـ / ٧٥١م) [٦٣] وكثير عزّة (كثير بن عبد الرحمن بن الأسود) (٤٥هـ / ٦٦٥م- ١٠٥هـ/٧٢٣م) [٦٤] وعمر بن أبى ربيعة (عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ٢٣هـ / ٦٤٤م- ٩٣هـ / ٧١١م) [٦٥] وقيس بن معاذ (مجنون ليلى) ت ٧٠هـ - ٦٨٩م وهو المعروف بقيس بن الملوح [٦٦] وجميل بن معمر العذرى (٤٠هـ/ ٦٦٠م- ٨٢هـ/ ٧٠١م) [٦٧] والأحوص (عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصارى ٣٥هـ / ٦٥٥م-١٠٥هـ/ ٧٢٣م) [٦٨] وذو الرمة (غيلان بن عقبة بن بهيش ٧٧هـ / ٦٩٦م -ت ١١٧هـ/ ٧٢٥م) [٦٩] . ومعن بن أوس المزنى ت ٦٤هـ/ ٦٨٤م[٧٠] ومالك بن الريب بن حوط ت ٥٦هـ - ٦٧٦م [٧١] والطرماح بن حكيم بن الحكم ت نحو ١٠٠هـ /٧١٨م [٧٢] والكميت بن زيد الأسدى ٦٠هـ ٦٨٠م- ١٢٦هـ/٧٣٣م [٧٣] وعروة بن أذينة (عروة بن يحيى بن مالك ت نحو ١٣٠هـ / ٧٤٧م)[٧٤] وعبيد الله بن قيس الرقيات بن شريح من بنى عامر (١٢هـ / ٦٣٣-)ت ٧٥هـ /٦٩٤م) [٧٥] وعدى بن الرقاع العاملى (أبو دؤاد عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى ت نحو ٩٦هـ / ٧١٥م) إذ أدرك خلافة سليمان عبد الملك [٧٦] . وثابت بن قطنة (أبو العلاء ثابت بن كعب من بنى أسد ت ١١٠ه/ ٧٢٩م)[٧٧] وكعب بن معدان الأشقرى ت١٠٢هـ / ٧٢٠م[٧٨] والقطامى (عمير بن شييم التغلبى ت ١٠١ هـ / ٧١٧م[٧٩] ... وغيرهم .

ومن نماذج ما استشهد به الجاحظ من شعر هؤلاء الشعراء استشهاده بقول جرير فى معرض الحديث عن باب الصمت وهو قول جرير فى فوت الرأى [٨٠] :

ولا يتقون الشر حتى يصيبهم ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

وهذا البيت مثبت فى ديوان جرير مما يعنى أن الجاحظ قد اطلع فعلاً على ديوان جرير وقرأه وحفظه واستنثره فى كتابه[٨١].

كما استشهد الجاحظ من شعر جميل بن معمر بقوله[٨٢]:

نمت فى الروابى من معد وأفلجت على الخفرات الغر وهى وليد

أناة على نيرين أضحى لداتها بلين بلاء الريط وهى جديد

وهذان البيتان من ديوان جميل بن معمر [٨٣] وهذا يعنى أن الجاحظ اطلع أيضاً على ديوان جميل وشعره ضمن ما اطلع من دواوين العصر الأموى وقد ساعده على ذلك أنه كان يعمل ناسخاً للكتب .

كما استشهد الجاحظ بشعراء ينتمون إلى العصر العباسى مثل ابن هرمة (إبراهيم بن على بن هرمة بن سلمة بن عامر ٩٠هـ- ت ١٧٠هـ- ٧٨٦م) [٨٤] وصالح بن عبد القدوس (صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من البصرة ت /١٦٧هـ- ٧٨٣ [٨٥]) والحسين بن مطير الأسدى توفى فى خلافة المهدى ما بين ١٥٨هـ - ١٦٩هـ (٧٧٥-٧٨٥م) [٨٦] وبشار بن برد (٩١هـ-٧١٠م-١٦٧-٧٨٢) [٨٧] ومروان بن أبى حفصة أبى الهذام مروان بن سليمان (١٠٥هـ- ٧٢٣م -١٨٢هـ- ٧٩٨م) [٨٨] والعباس بن الأحنف (ت ١٩٨هـ-٨١٤م) [٨٩] وأبى نواس الحسن بن هانئ النواس ١٤٠هـ ٧٥٧م -١٩٩هـ - ٨١٣[٩٠] وأبى الشيص (أبو جعفر محمد عبدالله رزين ت ١٩٦هـ - ١٨٢م) [٩١] والنضر بن شميل المزنى البصرى اللغوى (ت ٢٠٤هـ- ٨٢٠م) [٩٢] ومسلم بن الوليد (ابو الوليد مسلم بن الوليد الأنصارى صريع الغوانى ١٣٠هـ -٧٤٨م-٢٠٨هـ-٨١٣م) [٩٣] وأبى العتاهية (اسماعيل بن القاسم ١٣٠هـ ٧٤٨م -٢١١هـ-٨٢٦م) [٩٤] وكلثوم بن عمرو العتابى التغلبى (١٣٥هـ-٧٥٢م-٢٢٠هـ-٨٣٥م) [٩٥] وابن الأعرابى (أبو عبد الله محمد بن زياد ١٥٠هـ- ٧٦٧م-٢٣١هـ-٨٤٦م) [٩٦] وأبى تمام حبيب بن أوس الطائى ١٨٨هـ ٨٠٤هـ ٢٣٢هـ / ٨٤٦م)[٩٧] وسلم الخاسر (سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء البصرى

ت ١٨٦هـ -٨٠٢م)[٩٨] وأبى دلف العجمى (القاسم بن عيسى بن إدريس ت ٢٢٥ هـ- ٨٣٩م [٩٩]) .

من بين النماذج التى استشهد بها الجاحظ قول مروان بن أبى حفصة فى مدح الفضل بن يحيى بن برمك [١٠٠] .

ضربت فلا شلت يد خالدية　　رتقت بها الفتق الذى بين هاشم

ويضيف الجاحظ أن الفضل بن يحيى قد علق على هذا البيت بإبدال كلمة (برمكية) مكان كلمة خالدية لأن خالد كثير وأما برمك فواحد .

وهذا البيت مثبت فى ديوان مروان بن أبى حفصة فى مدح الفضل بن يحيى البرمكى حين قضى على عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب سنة ست وسبعين ومائة من الهجرة غير أن البيت ورد بالديوان هكذا : [١٠١]

ظفرت فلا شلت يد برمكية　　رتقت بها الفتق الذى بين هاشم

وفى كل ذلك دلالة قوية على أن الجاحظ قد اطلع على دواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والعباسيين وحفظ كثيرا منها وقد ساعدته ظروفه على ذلك ، فقد كان وراقاً وناسخاً للكتب، كما كان يكتب ويؤلف الكتب التى يتقاضى عليها أجراً من الخلفاء، ولذلك لا نعجب إذا وجدنا هذه الأشعار منثورة وبشكل مكثف فى كتابه البيان والتبيين .

٣- كتب المختارات

لقد توفر أمام الجاحظ عدد من كتب المختارات الأدبية التى عنيت بجمع واختيار أجود الأشعار وأشهرها فى كتاب واحد وتنوعت أسماؤها وتعدد كتابها، فمنها الأصمعيات للأصمعى (ت٢١٦ه)[١٠٢] والمفضليات للمفضل الضبى (ت ٢٥٥) [١٠٣] وجمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى (ت ٢٣٠هـ على الأرجح) [١٠٤] وحماسة أبى تمام (ت ٢٣١هـ) [١٠٥] وحماسة البحترى (ت٢٨٤هـ) [١٠٦] وبعض كتب الأدب التى عنيت بالمختارات أيضاً ، ويمكن أن تدرج تحت

المختارات فى تناولنا لهذا الموضوع ككتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سـلام الجمحى ت/٢٣١ هـ ١٠٧ والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى (٢١٣/ ٢٧٦هـ) [١٠٨] والكامل للمبرد ت٢٨٥هـ [١٠٩].

وتمثل هذه الكتب ثروة كبيرة مليئة بالنصوص الأدبية استعرضها الجاحظ وحفظ بعضها واستفاد من هذه النصوص فى شعره ويمكن تناول أثر هذه النصوص عليه :

أولاً: المفضليات

وهى مجموعة شعرية ضمت مائة وثلاثين قصيدة أو قطعة من قصيد وذلك لستة وستين شاعراً ينتمون إلى شعراء الجاهلية والشعراء المخضرمين والإسلاميين وقد اختارها المفضل الضبى (المفضل بن محمد بن يعلى الضبى الكوفى الراوية) وقد شرحت هذه المفضليات من قبل التبريزى (أبو زكريا بن الخطيب التبريزى ت ٥٠٢هـ)[١١٠] وذلك لتأديب محمد بن عبد الله المهدى بن المنصور الخليفة العباسى إذ كان مؤدباً له فاختارها لتأديبه. وقد قام الأستاذان : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون بتحقيق وشرح المفضليات، وطبعت بدار المعارف ١٩٤٢م. كما حظى شرح التبريزى لها بعناية المحققين. وقد نقل منها الجاحظ فى بيانه مما يؤكد أنها كانت ضمن مصادره المكتوبة والمدونة.

ثانياً: الأصمعيات:

والأصمعيات مختارات من الشعر الجاهلى والمخضرم والإسلامى تبلغ اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة لواحد وسبعين شاعراً منهم أربعة وأربعون شاعراً جاهلياً وأربعة عشر شاعراً مخضرماً وستة شعراء إسلاميين وسبعة مجهولون وقد نالت الأصمعيات عناية المحققين فقد قام الأستاذ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هارون بتحقيقها.

وقد نقل الجاحظ من كتاب الأصمعيات فى مواضع قليلة [111] من كتابه مما يدل على اطلاعه على الكتاب ، فقد نقل الجاحظ على سبيل المثال قول كعب بن سعد الغنوى [112]

حبيب إلى الزوار غشيان بيته	**جميل المحيّا شب وهو أديب**
إذا ما تراعاه الرجال تحفظوا	**فلم تنطق العوراء وهو قريب**

وهذان البيتان مذكوران فى الأصمعيات [113] والغنوى شاعر ليس له ديوان معروف ، كما ينقل الجاحظ عن الأصمعيات قول المنخل اليشكرى [114]:

ولقد شربت من المدا	**مة بالقليل وبالكثير**
ولقد شربت من المدا	**مة بالصغير وبالكبير**
ولقد شربت الخمر بالـ	**خيل الإناث وبالذكور**
فإذا سكرت فإننى	**رب الخورنق والسدير**
وإذا صحوت فإننى	**رب الشويهة والبعير**

يارب يوم للمنخل قد لها فيه قصير

وهذه الأبيات التى ذكرها الجاحظ جزء من قصيد ذكرت بتمامها فى الأصمعيات [115].

والمنخل اليشكرى شاعر مقل بل لم يصل إلينا من شعره غير هذه القصيدة التى ذكرها صاحب الأصمعيات ويثبت ذلك أن كتاب الأصمعيات كان من بين مصادر الجاحظ المدونة .

ثالثاً: جمهرة أشعار العرب:

وكتاب الجمهرة هو عدد من القصائد المختارة من عيون الشعر العربى الجاهلى والمخضرم والإسلامى قسمها القرشى على سبعة أقسام ذكر فى كل قسم سبع قصائد متدرجاً مع طبقات الشعراء من الجاهلية حتى العصر الأموى وسمى

كل قسم باسم فأصبحت هذه القصائد تسعاً وأربعين قصيدة لتسعة وأربعين شـــاعراً فى سبعة أقسام هى:

أصحاب المعلقات – أصحـــاب المجمهرات – أصحاب المنتقيات – وأصحاب المذهبات – أصحاب المراثى– أصحاب المشوبات – أصحاب الملحمات [١١٦] .

وقد نقل الجاحظ عن كتاب الجمهرة عدة نقول فى مواضع من كتابه ومن بين النماذج التى استشهد بها الجاحظ استشهاده ببيت الراعى النميرى فى موطن الحديث عن الفحل من الإبل حينما يسمى (فحيلا) [١١٧]:

كانت نجائب منذر ومحرق　　　أماتهن وطرقهن فحيـــلا

وهذا البيت من قصيد ذكرت فى جمهرة أشعار العرب وهو البيت التاسع مـن قصيدة مطلها[١١٨].

ما بال دفك بالفراش مزيلا　　　أقذى بعينك أم أردت رحيلا

غير أن المحقق قد أثبت رواية أخرى للبيت وهى:

كانت هجائن منذر ومحرق　　　أماتهن وطرقهن فحيـــلا

وهذا يثبت أن الجاحظ قد اطلع فعلاً على كتاب جمهرة أشعار العرب فالراعى ليس له ديوان وإنما وصل من شعره مجرد قصائد متناثرة فى كتب الأدب .

ومن بين ما استشهـــد به الجاحظ بيت من قصيـــدة أبى زبيد الطائى يقـــول فيه [١١٩] .

وخطيب إذا ما تمعرت الأو　　　جه يوماً فى مأقط مشهود

وهذا البيت من قصيدة طويلة قد ذكرها صاحب الجمهرة مطلعها [١٢٠]

إن طول الحياة غير سعود　　　وضلال تأميل طول الخلود

واسمه حرملة بن المنذر وكان نصرانياً وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وهو يرثى بهذه القصيدة ابن أخته اللجلاج،والبيت الذى استشهد به الجاحظ هو البيت الثـالث والأربعون من القصيدة المثبتة بالجمهرة. وأبو زبيد ليس له ديوان محـدد وإنما أشعاره منثورة فى طبقات فحول الشعراء والأغانى واللآلـئ والخزانـة والشـعر والشعراء .

رابعا: حماسة أبى تمام :

وفى قصائد مختارة من دواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمولدين اختارها أبو تمام قصائد أو مقطعات ضمت ثمانمائة وإحـدى وثمـانين مقطعة ، قسمها أبو تمام تقسيماً موضوعيا ، واختص كل قسم بفـن مـن فنـون الشعرالعربى وكانت على النحو التالى[٥]:

١- باب الحماسة.
٢- باب المراثى.
٣- باب الأدب.
٤- باب النسيب.
٥- باب الهجاء.
٦- باب الأضياف والمديح.
٧- باب الصفات.
٨- باب السير والنعاس.
٩- باب الملح .
١٠- باب مذمة النساء.

وقد حظى هذا الكتاب بعدة شروح لعل من أهمها شرح التبريزى الـذى قـام بتحقيقه عبد السلام محمد هارون[١٢٢].

وقد نقل الجاحظ عن حماسة أبى تمام فى مواضع كثيرة من كتابه منها- على سبيل المثال- استشهاده بقول بشامة بن حزن النهشلى[١٢٣]:

إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم   حد الظبات وصلناها بأيدينا

وهذا البيت مذكور من قصيدة ذكرها أبو تمام فى باب الحماسة من كتاب الحماسة ومنسوبة أيضاً إلى أحد شعراء بنى قيس بن ثعلبة وهو البيت العاشر من قصيدة مطلعها(١٢٤):

إنا محيوك ياسلمى فحيينا   وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وبشامة لا يعرف من شعره إلا القليل ومنه ما ذكره الجاحظ نقلاً عن كتاب أبى تمام.

وبهذا استطاع الجاحظ أن يسطر فى كتابه (البيان) أبياتاً سجلت قصائد مجهولة من تراثنا العربى لشعراء مجهولين مما يدل على أن حماسة أبى تمام كانت من بين مصادر الجاحظ.

على أن الباحث قد رأى أن هناك عدداً من الكتب الكثيرة التى يمكن أن يكون الجاحظ قد اطلع عليها لكنه لا يستطيع أن يجزم بذلك لأن مؤلفيها توفوا فى تواريخ لاحقة على الجاحظ ومن هذه المؤلفات : كتاب طبقات فحول الشعراء لمؤلفه ابن سلام الجمحى (محمد بن سلام ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦م). وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦هـ) وكتاب الكامل فى اللغة والأدب للمبرد (محمد بن يزيد أبو العباس ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وكتاب الحماسة للبحترى (الوليد بن عبادة ت ٢٨٤هـ /٨٩٧م).

وهناك كتب أخرى عديدة يبدو أنها ضاعت من بين ما ضاع من تراثنا العربى كانت مصادر متاحة للجاحظ فى زمنه ، فنهل منها وضمنها كتابه الزاخر فخلدت وخلد أصحابها، وبذلك نستطيع أن نقول : إن الجاحظ فى كتابه "البيان والتبيين" قد نجح فى جمع وحشد مادة أدبية تراثية على درجة كبيرة من الإبداع جمعت بين الدواوين المكتوبة والمسطرة التى تنتمى إلى شاعر بعينه من شعراء الجاهلية والإسلام والأمويين والعباسيين ، أو تنتمى إلى دواوين القبائل التى ضاعت فيما عدا ديوان هذيل. كما لم يفت الجاحظ أن يستفيد مما اختاره اللغويون

والمتأدبون من روائع الأدب العربى فى كتب الأصمعيات والمفضليات والحماسيات وما لا ندرى مما طواه الدهر من كتب كثيرة نهل منها الجاحظ. ويمكننا أن نقول إن "البيان والتبيين" في حد ذاته كتاب من مختارات الأدب زادت على كتب المختارات بأنها طرحت من خلال نظرية أدبية صيغت فى الأدب تتناول البيان والتبيين.

وقد ترك الباحث الحديث عن شعر المعلقات لعدة أسباب منها ما يعود إلى الخلاف الدائر والحائر فى كتب الأدب عن وجودها أو عدمه.

ومنها ما يعود إلى أن قصائد المعلقات إنما هى قصائد واردة ضمن دواوين الشعراء التى تناولناها داخل البحث فى جانب دراسة دواوين الشعراء ، وهذا قد جعل الباحث يتجاوز الحديث عنها.

ثانيا المصادر المسموعة

وينقل الجاحظ كثيرا من شواهده عن مصادر سماعية نقلها إليه عدد من الرواة الذين عاصرهم وربطته بهم علاقات طيبة وذلك مثل الأصمعى (عبد الملك بن قريب أبو سعيد ت ٢١٦هـ) حيث ينقل الجاحظ عنه فى مواضع كثيرة [١٢٥] وكذلك مثل أبى عبيدة (معمر بن المثنى التيمى ت ٢١٠هـ) صاحب كتاب "مجاز القرآن" حيث استمع إليه الجاحظ فى مواضع كثيرة [١٢٦] ، وابن الأعرابى (محمد ابن زياد ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) [١٢٧] وهو من الرواة وله كتاب (أسماء خيل العرب وفرسانها) فى مواضع عديدة ، ومثل محمد بن الجهم [١٢٨] . كما يورد الجاحظ أسماء أخرى سمع منهم وهم مجهولون مثل قول : (أنشدنى أعرابى دون أن يسميه) وقوله: (أنشدنى بعض أصحابنا) دون أن يعرفهم أو يذكر تعريفاً لهم . كما يذكر بعض أسماء مجهولين مثل : ديثم العنزى وهو ممن هجاهم بشار[١٢٩].

والجاحظ ينص صراحة على لفظ (أنشدنى) وهو مصطلح روائى من مصطلحات الرواية العربية يدل على السماع المباشر الذى يعود إلى أصل المادة اللغوية كما يقول ابن فارس فى مقاييس اللغة : (النون والشين والدال أصل صحيح يدل على ذكر شيء وتنويه به ، ومنه إنشاد الشاعر وهو ذكره والتنويه به [١٣٠].

وإنشاد الشعر أصلاً يعنى رفع الصوت به ولذا يسمى منشده منشداً ، أى الذى رفع صوته بالشعر كما قال صاحب اللسان: والنشيد رفع الصوت، وكذلك المعرِّف يرفع صوته بالتعريف فيسمى منشداً ، ومن هذا إنشاد الشعر إنما هو رفع الصوت) [١٣١] مما يعنى أن إنشاد الشعر يتضمن المنشد والمنشد إليه أى المتحدث والمستمع وأنشدنى تعنى: أسمعنى بصوته كما قال صاحب اللسان: (ومنه نشد الشعر وأنشده فنشده: إنشاد بذكره وأنشده إذا رفعه) [١٣١] . والجاحظ يقول فى مواضع كثيرة : أنشده وأنشدنى ويعنى بكلمة (أنشدنى) أنه سمع سماعاً مباشراً مما يعنى أن هناك مصدراً آخر غير الكتب والمختارات ألا وهو (السماع) وأن هناك رواة شاهدهم الجاحظ ورآهم وسمع منهم، ومنهم كما ذكرنا : أبو عبيدة والأصمعى وابن الأعرابى وغيرهم مما يؤكد لنا أن السماع كان مصدراً أساسياً من مصادر كتابه فى عمومه ، والشاهد الشعرى فى هذا الكتاب فى خصوصه.

ويتوازى مصطلح الإنشاد فى مجال الأدب مع مصطلح السماع.

ومن النماذج التى تثبت سماع الجاحظ ما يذكر أنه سمعه من أبى عبيدة حيث يقول : (وأنشدنى أبو عبيدة) [١٣٢]:

سقاها ميسم من آل عمرو إذا ما كان صاحبها جحيشا

ويدل ذلك على أن الجاحظ قد سمع مشافهة من أبى عبيدة الذى عاصره كما يذكر الجاحظ عن سماعه للأصمعى حيث يقول مستخدماً مصطلح (خبرنا) وهو من المصطلحات التى تؤكد المشافهة والسماع إذ تعود فى أصولها الدلالية إلى الإنباء كما يقول صاحب اللسان نقلاً عن ابن سيده : الخبر: النبأ ... وخبره بكذا وأخبره: نبأه) [١٣٣] ويعنى الإخبار هنا أن هناك متكلماً وسامعاً وبينهما خبر، وهذا مما يثبت السماع . ويقول الجاحظ مؤكداً هذا السماع، ذاكراً اسمه فى صدر الرواية [١٣٤] : (قال أبو عثمان: ضمن ذلك ما خبرنا به الأصمعى : قال أنشدنى المعتمر بن سليمان ، لإسحاق بن سويد العدوى:

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم إذا ذكروا عليـــاً يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبـــــى وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبـــاً به أرجو غداً حسن الثواب

وهذا يؤكد تماماً ما ذهبنا إليه من أن الجاحظ كانت له مصادر أخـــرى غـــير الكتب وهى السماع . وقد تضمن هذا السماع : السماع للشعراء أنفسهم وإن كــــان هذا قليلاً ولا يشير إليه الجاحظ فى كثير من الأحيان ، أو من مصادر غير مباشرة، ومصادره فى ذلك : اللغويون والرواة كابن الأعرابى وأبى عبيدة والأصمعى كمـــا ذكرنا.

ومن النماذج التى يذكرها عـــن ابـــن الأعرابـــى قولـــه : وأنشـــدنى ابـــن الأعرابى(١٣٥) :

إن زياداً ليس بالبكى ولا بهياب كثير العىّ

كما يستشهد الجاحظ بمجهولين من أصحاب لا يذكرهم ، كاستشهاده فى قوله: وأنشدنى بعض أصحابنا(١٣٦):

ناديت هيذان والأبواب مغلقة ومثل هيذان سنى فتحة الباب
كالهندوانى لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب

وبهذا انطلق الجاحظ من التفريق بين مفهومين : البيان والتبيين، البيان الـــذى يعادل الإفهام بوصفه طريقة المبدع، والتبيين أى التبين بوصفه طريقة المتلقى إلـــى النظر فى الشاهد الشعرى عبر مصادره المختلفة، ينقل منـــها موضحـــاً وشـــارحاً لموضوعه.

وقد تعددت هذه المصادر ما بين المدونة والمسموعة ، فالمدونة التى تتنـــاول دواوين القبائل المتعددة التى كانت متاحة أمامه مثل دواوين الشـــعراء الجـــاهليين والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين.. وما أتيح له من كتب المختارات التى اطلع عليها مثل المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب وحماسة أبـــى

تمام.. وهى نماذج شكلت رصيداً يستمد منه زاده من الشواهد الشعرية التى أتيحت له.

والمسموعة التى تسجل سماعه من الشعراء واللغويين كابن الأعرابى والأصمعى وأبى عبيدة... ويفسر ذلك السماع قوله فى كثير من المواقف : (أنشدنى).

وقد شكلت هذه المصادر المسموعة إلى جانب المدونة ذلك الرصيد الهائل من الشواهد الشعرية التى تضخمت بها مجلدات كتاب البيان والتبيين.

* *

المحور الثانى

منهج الجاحظ فى عرض النص الشعرى

يقصد بالمنهج هنا طريقة العرض فى عموميتها وخصوصيتها ، وكيف تناول الجاحظ عرض مادته وتعامل مع النصوص الشعرية التى أتيحت له . وهو تعامل يكشف لنا جوانب متعددة منها ما يتعلق بعلاقة الجاحظ بشواهده وموضوعاته ، ومنها ما يتعلق بثقافته، ومنها ما يتعلق بمحفوظه... إلى غير ذلك .

ولا تعنى كلمة منهج هنا الإحالة إلى منهج من المناهج الحداثية أو القديمة وإنما تعنى البحث عن طريقة العرض وما تكشفه لنا من جوانب.

إن من يتأمل فى كتاب "البيان والتبيين" يجد أن الجاحظ قد اختار موضوعاً معيناً محدداً هو البيان والتبيين أو التبين، والبيان بمنطقه يعنى القدرة على الإبانة والإفهام، والجاحظ تحدث عن نوعين من الإفهام :

الأول : يتمثل فى الإفهام اللغوى العادى.

والثانى : يتمثل فى الإفهام الجمالى البلاغى.

وقد عرض الجاحظ لموضوعه فتحدث عن البيان ومعانيه والبلاغة ومعانيها من خلال نماذج مقتطفة من أقوال البيانيين والبلاغيين • وللتدليل على صحة قوله لجأ الجاحظ إلى استخدام الشاهد الشعرى على طريقتين : الأولى: أن

الشاهد الشعرى برهان على التنظير النثرى، والثانى: التعامل مع الشاهد نفسه بالشرح والتحليل قصداً للإبانة.

أولاً: الشاهد الشعرى مجرداً :

إن الجاحظ مشغول أولاً بتثبيت دعائم المادة النظرية التى يقدمها، ومشغول ثانياً بتصنيفها وذكر نماذج منها ، فهو مشغول بالحديث عن مفهوم البيان ولهذا نكاد نقرأ منذ الصفحات الأولى حديثه عن البيان وذكره لأوصاف الإبانة الطبيعية أو الصوتية ثم يستشهد فى ذلك بسيل من الأبيات لا يذكر لها تفسيراً ولا تعريفاً ولا شرحاً ولا تعليقا. ومن ذلك حديثه عما جاء فى وصف واصل بن عطاء بالغزال، حيث يستشهد بأقوال إسحاق بن سويد العدوى وبشار ومعدان الشويطى وصفوان الأنصارى. ومن ذلك قول إسحاق بن سويد:

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم إذا ذكروا علياً ... يردون السلام على السحاب

ولكنى أحب بكل قلبى ... وأعلم أن ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حباً ... به أرجو غداً حسن الثواب

ويبدو أن الجاحظ لم يلجأ إلى تفسير مثل هذه النصوص لأنه كان مشغولاً بإيراد هذه النماذج، كما أنه لم ير فيها ما هو ملغز يحتاج إلى التفسير ولذلك يفسر الجاحظ ألفاظاً وردت فى قول صفوان الأنصارى تحتاج إلى تفسير ، فقد فسر معنى الجُفَّين فى قول صفوان الأنصارى :

بجمع من الجُفَّين راض وساخط ... وقد زحفت بُداؤهم للمحاضر

ففسر الجُفَّينِ بأنهما بكر وتميم . وهذا يعنى أن الجاحظ اضطر إلى هذا التفسير خوفاً من اللبس وسعياً إلى الإبانة[١٣٧].

كما يورد الجاحظ فى الحديث عن ظروف البيان أو أصناف الدلالة على المعانى ما يتعلق باللفظ والإشارة والعقد ثم الخط ثم الحال ، مستشهدا بنماذج

لشعراء معروفين كأبى العتاهية، وشعراء مجهولين لم يذكرهم. ولـم يشـرح لنـا الجاحظ ولم يفسر أيا من هذه الأبيات. ومن ذلك استشهاده فى دائرة الإشارة بقـول شاعر مجهول:(١٣٨)

أشارت بطرف العين خيفة أهلها   إشارة مذعور ولم تتكلـــم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا   وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيـم

كما يذكر الجاحظ أبياتاً فى مدح اللسان يدلل بها على ما ورد فـى مديـح اللسان لشعراء مثل سويد بن أبى كاهل وجرير وابن هرمة وكعب بن سعد الغنـوى وآخرين مجهولين دون أن يفسر لنا كلمة واحدة وذلك من مثل قول بن احرب:

لله درك من فتى فجعت به   يوم البقيع حوادث الأيـــام
هش إذا نزل الوفود ببابه   سهل الحجاب مؤدب الخُدام
فإذا رأيت شقيقه وصديقه   لم تدر أيهما أخو الأرحـام

فالجاحظ فى هذه الأبيات لم يهتم بالتفسير أو التعليق أو ذكـر مـا حـول النص، وكأن ذلك يمثل ثقافة إنسانية عامة بين الناس فلا داعـى لتكرارهـا، أو أن ألفاظ النصوص مألوفة عند الناس. أو كأن الجاحظ قـد نسـى فـى غمـرة قلـة استشهاداته ما فيها من غريب أو طريف أو عجيب (١٣٩) . غير أنه فى موضع آخر يتحدث عن نصوص أخرى فى مدح اللسان وينتبه إلى ما فيها من غريب أو عجيب فيبدأ فى شرحها ومن ذلك تفسيره لألفاظ القروم والزوائر والهدر فى قول نافع بـن خليفة الغنوى :

وخصـم لدى باب الأمير كأنهم   قروم فشا فيها الزوائر والهدر
دلفت لهم دون المنـى بملمـة   من الدر فى أعقاب جوهرها شذر
إذا القوم قالوا أدنِ منها وجدتهـا   مُطّبقَةً يهماء ليس لها خصـر

ومن الغريب أن الجاحظ لم يترك فـى هـذا الموضـع نصـاً إلا وشـرح غريبه(١٤٠)، وفى هذا ما يدل دلالة قاطعة على أن الجاحظ مشغول بموضوعه هـو،

وعندما يترسخ الموضوع وتكتمل شواهده، يلجأ إلى ذكر شواهد أخرى، هنا يلجأ الجاحظ إلى تأمل هذه الشواهد الأخيرة فيلجأ إلى شرحها وتفسيرها.

وفى مجال الحديث عن عيوب النوك والعيّ والحمق يستشهد الجاحظ استشهادات متفرقة في الكتاب نلاحظ على بعضها أنه لا يلجأ فيها إلى الشرح مطلقاً ، ففى إحدى هذه النقول فى الجزء الأول يورد الجاحظ أشعاراً لشعراء مجهولين ، كما يورد لبشر بن المعتمر ولجرير أشعاراً أخرى ولا نجد تعليقاً منه شارحاً أو مفسراً فى أى موضع من هذه الموضع من ذلك قول الشاعر (١٤١) :

تحامق مع الحمقى إذ ما لقيتهم ... ولاقهم بالنوك فعل أخى الجهل

وخالط إذا لاقيت يوماً مخلطاً ... يخلط فى قول صحيح وفى هزل

فإنى رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

والأمثلة على ذلك كثيرة فى كتابه "البيان والتبيين" بأجزائه الأربعة.

فالجاحظ مشغول بترسيخ مادته النظرية ، والبيت الشعرى ما هو إلا شاهد فقط يدلل به على رأيه ، فإذا ما ترسخ النظري التفت الجاحظ إلى الأبيات فوفاها فى بعض الأحيان من الشرح والتفسير والتعليق إذا أحس أنها تحتاج إلى ذلك ومن هذا ما يذكر الجاحظ عن فضل العصا فيستشهد فى ذلك بسيل من الشواهد على فضل العصا وعلى استخدام العرب لها فى الخطب ، رداً على دعوى الشعوبية فى استخدام العرب للعصا فى الخطب والمجامع وغيرها. ومن ذلك ما يستشهد به الجاحظ من أشعار للحارث بن حلزة وأوس بن حجر ولبيد بن ربيعة ومعن بن أوس المزنى وكذلك لجندل الطهوى... وغيرهم كثيرون، والجاحظ قد يقف أمام بعض الأبيات ليوضح معنى بسيطاً إلا أنه ينطلق في كثير من المواضع دون أن يقف أمام كلمة أخرى (١٤٢) . فهو يتحدث عن صفة العصا والقناة فيستشهد بقول شاعر مجهول فى صفة قناة :

وأسمر عاتر فيه سنان ... شراعى كساطعة الشعاع

وينطلق منه إلى قول آخر:

هونة فى العنان تهتز فيه ... كاهتزاز القناة تحت العقاب

وينطلق منه إلى أبيات أخرى دون أن يقف عند كلمة واحدة أو يـــأتى بـأى تعليق إلا فى موقف واحد فى التعليق على من فقد العصا يسمى باهلاً فـــى قـول راجز:

أبهلها ذائدها وسبحـــا ودقت المركوّ حتى ابلندحا

وعلق الجاحظ على ذلك بأن الرجل إذا لم يكن معه عصا فهو باهل ، والناقـة الباهلة إذا كانت بغير صرار [١٤٣] . فالجاحظ أمام سيل كبير من الشواهد لا ينتبـه إلى صعوبة الألفاظ أو خفاء المعانى إلا فى النهاية عندما يتوقف أمام شاهده. وقـد يعن للباحث سؤال عن طبيعة العلاقة بين الشاهد وبين الموضوع المستشـهد لـه، أيهما يجاذب صاحبه فى ذاكرة الجاحظ؟ فمنذ الوهلة الأولى يظهر لنا أن الجـاحظ يجذب الشاهد لموضوعه، فالموضوع هو الأول فى ذهنه والشاهد هو الثانى الـذى يأتى ذيلاً، إلا أننا وبشىء من إنعام النظر يمكن أن ندرك أن العكس هو الصحيـح، فالجاحظ مشغول بشواهده أولاً، وقد تكون هذه الشواهد ممثلة للثقافة الأولى عنـده، بينما تأتى مرحلة التنظير فى المرتبة الثانية، ويفسر هـذا أن أغلـب النصـوص الشعرية عنده لم تشرح ولم تفسر مما يدل دلالة قاطعة على أن الجاحظ يوجه ذهنـه إلى استظهار محفوظ شعرى سبق عملية التنظير التى تمتد على طول الكتاب، بـل إننا لو قمنا بحذف شواهد الكتاب لأدركنا أن المادة التنظيرية التى تتحدث عن البيان وعن البلاغة وشروطها تتضاءل فى حجمها إلى درجة كبيرة، مما يدل دلالة قاطعة على أن النص الشعرى فى خصوصه والنثرى فى عمومه يعد خلفية أساسية انطلق منها الجاحظ ، بل واستحضر منها موضوع الكتاب .

٤-تعدد الشواهد فى الموضوع الواحد:

وهذا مظهر مهم من مظاهر عناية الجاحظ بالنصوص الشعرية بدرجـة قـد تفوق – كما قلنا – عنايته بالموضوع نفسه. ويمكن ملاحظة هـذه المسـألة منـذ الموضوعات الأولى فى الكتاب ، فحينما تحدث عن موضوع حقوق القِرى وتمـام الضيافة ذكر أولاً بيتين لحاتم الطائى هما قوله:[١٤٤].

سلى الجائع الغرثان يا أم منذر إذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
هل ابسط وجهى أنه أول القرى وأبذل معروفى له دون مُنكَرى

ثم ذكر نصا آخر لشاعر آخر لم يثبت اسمه: (١٤٥)

إنك يا ابن جعفر خيـــر فتى وخيرهم لطارق إذا أتـــــــى
ورب نِضو طرق الحى سُرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إن الحديث جانب من القِـــــرى

واستطرد الجاحظ فى الحديث عن الموضوع نفسه ذاكــراً بيتيــن آخريــــن لشاعر آخر لم يثبته الجاحظ أيضاً وإن استدركه المحقق وأثبتهما للشاعــر عــروة بن الورد العبسى وهما قوله: (١٤٦)

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ولـــم يُلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القـــرى وتعلمُ نفســى أنه سوف يهجع

وكأنما استهوى الموضوع الجاحظ فذكر شاهداً آخر لعمرو بن الأهتم(١٤٧):

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق

ثم ينهى شواهده حول هذا الموضوع ببيتين لا يثبت صاحبـــهما أيضـــاً وإن فعــل المحقـــق ما فعلـــه سابقاً وأثبت صاحبهما وهو الشاعر الخريمى والبيتـــان هما : (١٤٨) .

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحلـــــــه ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيـــب

وقد عدد الجاحظ شواهده فى موضوع واحد وهو موضـــوع القـــرى لتعـــدد جوانبه فأراد أن يعدد هذه الجوانب من خلال كثرة الشواهد وليظهر مـــن خلالـــها أصول الضيافة وتمامها.

وعند معالجة الجاحظ لعيوب النطق ذكر كثيرا من عيـــوب اللســـان ومنـــها (الحكلة) وأكثر من شواهده حولها فقال: (١٤٩) (فإذا قالوا فى لســـانه حكلـــة فإنمـــا

يذهبون إلى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال. وقال رؤبة بن العجاج:

لو أننى أوتيت علم الحُكْل   علم سليمان كلام النمل

وقال محمد بن ذؤيب فى مديح عبد الملك بن صالح :

يفهم قول الحُكْل لو أن ذرة   تساود أخرى لم يفته سوادها

ومضى الجاحظ مستشهداً ببيت ثالث للتيمى فى هجائة لبنى تغلب وهو قوله(١٥٠).

ولكن حكلا لاتبين وديتها   عبادة أعلاج عليها البرانس

ويبدو أن الجاحظ أراد فى معرض حديثه عن عيوب اللسان أن يبرز أهمية هذا العيب فأكثر من شواهده.

وتنتشر هذه الظاهرة- ظاهرة تعدد الشواهد فى الموضوع الواحد- انتشاراً واسعاً فى كتاب الجاحظ (١٥١) إذ كلما شعر بوجود قدر من الأهمية للموضوع الذى يتناوله وقف أمامه مستشهداً بالنصوص ولا يتركه إلى غيره إلا بعد أن يلقى عليه من ضوء الشواهد ما يشعر أنه يحتاجه، تعينه على ذلك ثقافة واسعة مطلعة على التراث الشعرى العربى المعاصر له والسابق عليه كما تعينه ذاكرة عربية قوية لم تخذله طوال سيره فى كتابه.

ثانيا: الشاهد الشعرى بتعليق الجاحظ

وقد يلجأ الجاحظ إلى التعامل مع النص الشعرى فى ذاته ، فيوليه درجة كبيرة من الاهتمام . وقد تنوع هذا الاهتمام فأصاب النص الشعرى ذاته ، أو تطرق إلى ما حوله ، أو انطلق منه إلى نصوص أخرى على طريقة الاستطراد أو تأصيل النص الشعرى وقد اتخذ ذلك النواحى الآتية:

أ-التعامل مع النص الشعرى ذاته

تنوعت طرق التعامل مع النص الشعرى ذاته عند الجاحظ إما بشرح المفردات الغريبة والعجيبة فيه تسهيلاً لفهمه، أو بشرح معناه، أو باستنتاج معنى منه، أو بالتعليق عليه.

ففى مجال تفسير المفردات قد يلجأ الجاحظ إلى شرح مفردات النص ، فهو يتوقف أمام الأبيات شارحاً مفرداتها اللغوية التى قد تغرب على القارئ العادى ، وذلك حتى تتحقق الفائدة التى يرجوها وهى الإفهام والإبانة، فمن ذلك تعليقه على قول أفنون بن صريم التغلبى فى قوله:

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به ... رئمان أنف إذا ما ضن باللبن

فالجاحظ شرح المفردات الغريبة فى هذا البيت وهى كلمة: (رئمان) حيث أصل له معجمياً بقوله: (رئمان: أصله الرقة والرحمة ، والرءوم أرق من الرءوف. فقال: "رئمان أنف" كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن) [١٥٢] .

فالجاحظ قد استرعاه فى هذا النص الشعرى غرابة لفظ رئمان ووجد أنه صعب فى فهمه فبحث له عن معناه اللغوى حتى يزيل تلك الغرابة وقد فعل رئمان الجاحظ ذلك أيضاً فى تفسير ألفاظ مثل: الرعاث والحبلات فى قول النمر بن تولب :

وكل خليل عليه الرُّعا ... ث والحُبُلات ضعيف ملق

فقد فسر الجاحظ هذين اللفظين تفسيراً معجمياً رد الكلمة إلى مفردها والمفرد إلى مرادفه فقال: (الرعاث : القرطة. والحبلات : كل ما تزينت به المرأة من حسن الحلى ، والواحد: حبلة) [١٥٣]

بل إن الجاحظ ليلجأ فى كثير من الأحيان إلى تفسير المرادفات التى تستخدم فى بيئات لغوية مختلفة فهو يفسر أسماء الحيوانات عند البدو فى قول صفوان الأنصارى يهجو بشاراً وأخويه مخاطباً أمهم:

ولدت خلداً وذيخا فى تشتمه ... وبعده خززاً يشتد فى الصعد

ثلاثة من ثلاث فرقوا فرقا ... فاعرف بذلك عرق الخال فى الولد

فقد وجد الجاحظ أن ألفاظ: الخلد والذيخ والخزز ألفاظ لا تستعمل فى البوادى والحضر فشرحها وفسرها حتى تفهم فقال : (الخلد ضرب من الجرذان يولد

أعمى ، والذيخ ذكر الضباع وهو أعرج ، والخزز ذكر الأرنب وهو قصير اليدين لا يلحقة الكلب فى الصعد) (١٥٤) . فالجاحظ هنا مشغول بتفسير المفردات اللغوية التى تصعب فى فهمها إما لقلة استعمالها ، أو أنها تختص ببيئة دون أخرى ، كاختصاصها ببيئة البدو عن بيئة الحضر ، وقد يلجأ الجاحظ إلى تفسير ألفاظ تدخل فى حيز المصطلح وهى التى تشير إلى قوم بعينهم أو أشخاص بعينهم فمن ذلك تفسير لفظة ""عبيد العصا" فى قول بشر بن أبى خازم:

عبيد العصا لم يتقوك بذمة   سوى سيب سعدى إن سيبك واسع

حيث يفسر الجاحظ لفظة "عبيد العصا" بأنه يعنى بنى أسد وذلك لأنهم كالعبيد الذين ينقادون لكل من حكمهم قال :

(ويقال لبنى أسد : "عبيد العصا" يعنى أنهم كانوا ينقادون لكل من حالفهم من الرؤساء) (١٥٥)

فالجاحظ يفسر لنا مصطلحاً اجتماعياً لا يفهمه من يقرأ الشعر لأول مرة فهو يستمد ذلك من ثقافتة التاريخية ومعرفته العميقة لقبائل العرب وعاداتهم وعلاقاتهم ، وقد يفسر الجاحظ أيضاً مصطلحاً بعينه يراد به شاعر بعينه أو ما يسمى باسمه . فمن ذلك تفسيره للفظ مجنون فى قول الحكم الخضرى(١٥٦)

كوم تظاهر نيها وتربعت   بقلاً بعيهم الحمى مجنونا

فيفسر الجاحظ المجنون هنا بالمصروع ، وهذا معنى لغوى غير أنه يفسر هذا المعنى بالإشارة إلى الشعراء المشهورين بالجنون كمجنون بنى عامر ومجنون بنى جعدة حيث يقول : (والمجنون: المصروع ومجنون بنى عامر ومجنون بنى جعدة).

فالجاحظ حرصاً منه على تفسير هذه الاصلاحات الغريبة يعود إلى ثقافته التاريخية والاجتماعية ليفسر هذه الألفاظ تحقيقاً للإبانة والإفهام فالجاحظ مشغول فى تفسير المفردات الغريبة معجمياً والنادرة اجتماعيًا والاصطلاحية التى يتطلب فهمها ثقافة اجتماعية تاريخية ، وتكثر الأمثلة والنماذج التى يلجأ فيها الجاحظ إلى شرح المفردات وتفسير الاصطلاحات . والكتاب ملئ بهذه الأمثلة (١٥٧) .

وفى مجال تفسير المعنى يلجأ الجاحظ إلى التعامل مع النص من خلال شـرح المعنى ، او تفسير جملة تتعلق بالمعنى ، أو يستنتج معنى من البيت ، أو قد يعلـق على معنى البيت ، فهو يشرح المعنى فى الأبيات مثل شرحه لقول أبى ذؤيب:

وقام بناتى بالنعال حواسراً وألصقن وقع السبت تحت القلائد

فإن الجاحظ يشرح هذا المعنى ويقول : (فإن النساء ذوات المصائب إذا مـا قمن فى المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال) (١٥٨) .

فالجاحظ فى هذا يشرح المعنى كاملاً فى البيت ، ويضيف إلى شرح المعنـى الإشارة إلى عادة اجتماعية متوارثة عند العرب معتمداً على ثقافته الاجتماعيـة . وكذلك فى شرحه لقول بشر بن أبى خازم (١٥٩) :

لله در بنى الحدَّاء من نفـر وكل جـار علـى جيرانه كَلِبُ

إذا غدوا وعصى الطلح أرجلهم كما تنصب وسط البيعة الصلب

حيث فسر الجاحظ هذا المعنى بأنهم كانوا عرجانا فقال : (إنما يعنـى أنـهم كانوا عرجاناً، فأرجلهم كعصى الطلح. وعصى الطلح معوجة) . والجـاحظ هنـا شـرح المعنى أيضاً اعتماداً على ثقافته التاريخية ، واعتماداً على فهمه للأبيات . وقد لجأ الجاحظ إلى شرح المعنى لإحساسه بغموضه.

وقد يلجأ الجاحظ إلى ذكر المعنى ويستشهد بالبيت الذى يحمل هـذا المعنـى وكأنه يشرحه مسبقاً مثل استشهاده بقول الأنصارى(١٦٠).

وسارت لنا سيارة ذات سـودد بكون المطايا والخيول الجماهر

يؤمون ملك الشام حتى تمكنـوا ملوكاً بأرض الشام فوق المنابر

يصيبون فصل القول فى كل خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالمخاطـر

فالجاحظ يقدم لهذه الأبيات بشرح لمعنى البيتين الأخيرين ويستمد هذا الشـرح من عادة اجتماعية وهى الإشارة فى الخطبة وكأنما هذه الإشارة بالعصا تمد من يـد الخطيب يداً أخرى فى قوله: (من شأن المتكلمين أن يشـيروا بأيديـهم وأعناقـهم

وحواجبهم ، فإذا أشاروا بالعصى ، فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيادى أخر. ويدل على ذلك قول الأنصارى وفى ذلك انطلق الجاحظ من شرح المعنى بشكل إجمالى من ثقافاته ومن تأويلاته للنص .

وقد يلجأ الجاحظ إلى شرح جملة فى البيت أو تعبير يمثل اصطلاحاً تاريخياً واجتماعيا يحتاج إلى شرح وذلك مثل قوله : (لو كان فى العصا سير) فى قول حبيب ب أوس: [١٦١].

مالك من همة وعـــزم لو انه فى عصاك سَيْرُ
رب قليل جنى كثيـــراً كم مطر بـــدؤه مُطَيْرُ
صبراً على النائبات صبرا ما صنع الله فهو خيْر

فالجاحظ يفسر جملة (لو أن فى عصاك سير) أنها تعنى تمنى القوة فى حالة العجز ويشير فى ذلك أن هذا اصطلاح تعبيرى تقوله العرب فى هذا المجال حيث يقول: (والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز فيقول : لو كان فى العصاسير) .

ويفسر الجاحظ أيضا التشبيه فى قول الشاعر الحارث بن صخر[١٦٢]:

بضرب يزيل الهام عن سكناته كما ذيد عن ماء الحياض الغرائب

بأن هذا التشبيه يرتد إلى جملة قديمة وهى (ضرب فلان ضرب غرائب الإبل) حيث إن ذلك يرتد إلى عادة اجتماعية عربية وهى ضرب الإبل الغريبة عند الرعى والسقيا حيث يقول : (ويقال "ضرب فلان ضرب غرائب الإبل" وهى تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الخوف أشد الضرب).

والجاحظ فى تفسير هذه الجمل التعبيرية يلجأ إلى ثقافته الاجتماعية بالشعر العربى وبالبيئة العربية فيستمد منها المعنى وذلك فى أمثلة كثيرة.

وقد يلجأ الجاحظ إلى استنتاج معنى من النص وذلك فى مثل تعليقه على قول أوس بن حجر[١٦٣]:

باتوا يصيب القوم ضيفاً لهم حتـــى إذا ما ليلهم أظلما

قروهم شهباء ملمومـــــة مثل حريق النار أو أضرما
والله لولا قُرْزُلٌ ما نجـــا وكان مثوى خدك الأخرما
نجاك جياش هزيم كمـــا أحميت وسط الوبر الميسما

ويدرك الجاحظ أن الأبيات تتحدث عن معركة ليلية خاضتها قبائل العرب وقتل فيها أحد أبطالها وهو عتيبة بن الحارث بن شهاب. ويستنتج الجاحظ وقت المعركة فى معرض الحديث عن أن العرب يقاتلون بالليل كما يحاربون بالنهار على حد سواء فيقول : (وبعد فهل قتل ذؤاب الأسدى عتيبة بن الحارث بن شهاب إلا فى وسط الليل الأعظم حين تبعوهم فلحقوهم ؟) . والجاحظ هنا أيضاً يعول على نصه فيستنطقه ما أراد إلا أنه خبير بمادته يدرك ما بالنص الأدبى من قدرة على الإبانة فيستنتج منه ما أراد من المعنى.

وقد يعلق الجاحظ على الأبيات دون أن يشرحها فيمثل التعليق نوعاً من الشرح وذلك فى تعليقه على قول زبان بن سيار(١٦٤):

ولسنا كأقوام أجدوا رياســـة يـــرى ما لها ولا يحس فعالها
يريغون فى الخصب الأمور ونفعهم قليـــل إذا الأموال طال هزالها
وقلنا بلاعى ، وسسنا بطاقـــة إذا النار نار الحرب طال اشتعالها

ويعلق الجاحظ على هذه البيات بإشارة تعليلية يشير فيها إلى أن العى والعجز يعدان عند العرب من الخرق فى الألسنة أو الجوارح حيث يقول : (لأنهم يجعلون العجز والعى من الخرق ، كان في الجوارح أم فى الألسنة)(١٦٤).

ومن مظاهر اهتمام الجاحظ بالنص الشعرى أيضاً تعليقه على الشاهد. فهو لا يكتفى حينا بشرح البيت أو بشرح مفرداته حينا آخر، أو ذكر ترجمة لصاحبه حينا ثالثا، وإنما نجده فى مواضع أخرى كثيرة يعلق على البيت تعليقا نقدياً ، وتتفاوت تعليقاته بين الإيجاز والإطالة طبقاً لأهمية الموضوع الذى يتعرض له أو لحاجة ذلك الموقف نفسه إلى توضيح نقطة غامضة أو تفسير موقف أو لشيء ما فى الشاهد ذاته يتعلق بلفظه أو معناه.. أو ما يشابه ذلك ففى بيت لحماد عجرد يهجو فيه بشار بن برد:

ويا أقبح من قرد إذا ما عمى القرد

ذكره الجاحظ من شواهده وعلق عليه قائلاً: (ويقال إنه لم يجزع بشار من شئ قط جزعه من هذا البيت) (١٦٥) . وقد تردد هذا التعليق فى كتب القدماء والمحدثين مما يدل على تأثر بشار كثيراً بهذا البيت، وعلى مكانة هذا البيت من أبيات الهجاء المؤثرة التى خلدها تراثنا العربى الشعرى.

وقد يأتى تعليق الجاحظ تصويبا وتصحيحاً لبعض المصطلحات كما فى حديثه عن (التمتام) من عيوب نطق اللسان حينما ذكره بعضهم (تمتام) فصوبه الجاحظ قائلاً (١٦٦) وبعضهم ينشد: يا حمد ذات المنطق التمتام. وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الزحف:

لست بفأفاء ولا تمتام ولا كثير الهجر فى الكلام

ونلاحظ أن الجاحظ عند تصويبه للكلمة ذكرسنده فى ذلك وهو ذكرها هكذا عند الشاعر أبى الزحف وهو شاعر أموى، بل إن الجاحظ يتبع ذلك ببيت آخر لشاعر آخر يؤكد به صحة ما قاله وهو بيت للخولانى يقول فيه: (١٦٧).

إن السياط تركن لاستك منطقا كمقالة التمتام ليس بمغرب

وفى الموضوع ذاته – موضوع عيوب نطق اللسان– تحدث الجاحظ عن عيب آخر هو (اللفف) وقبل أن يذكر شاهده عليه،ذكر تعريف أبى عبيدة له إذ قال عنه (١٦٨) (إذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو أَلَفُّ وقيل بلسانه لَفَف) ثم ذكر شاهده رواية عن أبى عبيدة نفسه وهو بيت لأبى الزحف الراجز يقول فيه:

كأن فيه لففا إذا نطق من طول تحبيس وهم وأرق

ثم علق الجاحظ على هذا الشاهد بقوله: (كأنه لما جلس ولم يكن له من يكلمه، وطال عليه ذلك. أصابه لفف فى لسانه) . وهو تعليق وإن كان ظاهره أميل إلى الشرح، إلا أنه إذا أضيف إلى تعليق أبى عبيدة وتعريفه للفف قبل ذكر البيت ، فإنهما معاً يكونان بعداً نقديا لتعريف هذا المصطلح.

ومن تعليقاته الموجزة التى تفسر موقفاً وتوضحه تعليقه على هذا البيت الذى أنشده إياه الأصمعى: [١٦٩] .

حديث بنى قرط إذا ما لقيتهم   كنزو الدبا فى العرفج المتقارب

فقد علق عليه الجاحظ قائلاً : [١٧٠] (قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة) وشبيه بهذا التعليق تعليقه على البيت التالى له فى كتابه الذى ذكره لسلمة بن عياش:

كأن بنى رألان إذ جاء جمعهم   فراريج يلقى بينهن سويق

فقد علق عليه الجاحظ قائلاً [١٧١] : (فقال ذلك لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم) ونلاحظ اهتمام الجاحظ البلاغى هنا إذ يفسر المشبه به فى الشاهدين السابقين بعجلة الكلام، وهو تفسير يعبر بإيجاز عن المعنى المطلوب الذى يريد الجاحظ إظهاره.

ومن طريف تعليقات الجاحظ تعليقه على تعليق غيره. إذ يروى تعليقا للكميت على بيت للطرماح، فينتهز الجاحظ الناقد الفرصة، وتنشط ملكته النقدية، فيعلق على تعليق الكميت عاقداً موازنة طريفة بين كل من الكميت والطرماح ٠ ولعل الطريقة التى عرض بها الجاحظ موضوعه وشاهده قبل أن يعقد الموازنة، تشير أيضاً إلى ما قلناه سابقاً حول دقته فى رواية البيت، وتتبع سنده وتوثيقه، إضافة إلى قدر من الترجمة لصاحبه. يقول الجاحظ: [١٧٢]

ومن الخطباء الشعراء : الطرماح بن حكيم الطائى وكنيته أبو نفر، قال القاسم ابن معن: قال محمد بن سهل راوية الكميت: أنشدت الكميت قول الطرماح :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت   عرى المجد واسترخى عنان القصائد

قال: فقال الكميت: أى والله، وعنان الخطابة والرواية ، قال أبو عثمان الجاحظ:

"ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح. وكان الكميت عدنانياً عصبياً، وكان الطرماح قحطانيا عصبياً. وكان الكميت شيعيا من الغالية ، وكان

الطرماح خارجياً من الصفرية . وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام. وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط، ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض، ولا شيء مما تدعو هذه الخصال إليه" وهى موازنة تنم عن ذكاء حاد لدى الجاحظ وعن تمتعه بالملكة النقدية البصيرة الملمة بالتراث ، وسعة الاطلاع والمعرفة، فحينما رأى موافقة الكميت على فخر الطرماح بشعره وإقراره له بذلك ، بل رفعه أيضاً فى مجالى: الخطابة والرواية إلى جانب الشعر .. حينما رأى الجاحظ ذلك انتبهت ملكته النقدية إلى أوجه الخلاف بينهما، وهى خلافات كما رأينا كان من الممكن معها ألا يحدث هذا الموقف من الكميت لو كان نقده للطرماح ينطلق مما يسميه النقاد الآن بالمنهج الاعتقادى القائم على معتقدات كل من الناقد والأديب، أو المنهج التأثيرى القائم على التأثر والتذوق. وهما منهجان يذهب بعض النقاد إلى جعلهما من أقدم مناهج النقد(١٧٣).

ولعل الجاحظ بذلك يؤكد مصداقية النقاد العرب القدامى ، وأنهم إنما كانوا حينما يتعرضون للنصوص الأدبية إنما كانوا ينطلقون فى أحكامهم من حيدة كاملة لا تتأثر بأصل جنسي أو مذهب عقائدى أو اتجاه فكرى أو حتى ولاء سياسي، بل إن ذلك لم يكن حتى ليؤثر فى العلاقات الخاصة بين الأدباء والنقاد.

ومن تعليقات الجاحظ الإيجابية أيضاً ذات الحس النقدى اليقظ تعليقه على بيت لبشار بن برد يقول فيه:

وإنى لمن قوم خراسان دارهم كرام وفرعى فيهم ناضر بسق

فقد ذكره الجاحظ وعلق عليه قائلاً : (١٧٤) (وكان شاعرا راجزاً، وشجاعاً خطيباً، وصاحب منثور ومزدوج ، وله رسائل معروفة) .

فمن خلال تعليق الجاحظ نراه يعدد فنون الأدب التى برع فيها بشار، وهذه تدخل ضمن مهمة الناقد.

وتنتشر تعليقات الجاحظ على شواهده فى كتابه انتشاراً كبيراً لعله يفوق انتشار شرحه للأبيات وللمفردات وترجمته للشعراء أصحاب هذه الشواهد، وهو الأمر الذى يؤكد عمق نظرته النقدية الفاحصة لكل ما حولها، فنحن من خلال هذه التعليقات نجد أنفسنا إزاء ناقد يعى كما هائلاً من النصوص وعيه بما تحمل هذه النصوص من معانٍ وما قيلت فيه من مواقف، إضافة إلى مواقف أصحابها واتجاهاتهم المختلفة وحتى أصولهم التى انطلقوا منها.

والجاحظ فى هذا يعول أيضاً على ثقافته يستمد منها معانى الأبيات فيما يدل من طرف خفى على أن الجاحظ يريد أن يؤكد أبياته.

وبهذا استطاع الجاحظ أن يفسر مادة النص الشعرى لفظاً ومعنى من خلال الدوران فى النص نفسه وسبر أغواره، أو الدوران حوله مما يتصل بالعادات والتقاليد التى تطرحها الأبيات.

ب- التعامل مع ما يحيط بالنص:

وقد يلجأ الجاحظ إلى ترك النص والتعامل مع ما يحيط به، فقد يتحدث عن المناسبة التى قيل فيها النص، أو قد يتطرق إلى القائل وما يتعلق به من صفات اشتهر بها، أو قد يتناول معلومات تاريخية تحيط بالنص نفسه،فمن الحديث عن المناسبة ذكر الجاحظ مناسبة أبيات سلامة بن جندل إلى صعصعة ابن محمود بن مرثد والتى يقول فيها(١٧٥):

سأجزيك بالود الذى كان بيننا ... أصعصع إنى سوف أجزيك صعصعا

سأهدى وإن كنا بتثليث مدحة ... إليك وإن حلت بيوتك لعلعا

فإن يك محمود أباك فإننا ... وجدناك محمود الخلائق أروعا

فإن شئت أهدينا ثناء ومدحة ... وإن شئت أهدينا لكم مائة معا

ويشير الجاحظ إلى أن سبب هذه الأبيات أن سلامة بن جندل كان له أخ يدعى أحمد بن جندل وقد وقع أسيراً فى يد صعصعة بن محمود ، وأن سلامة أرسل هذه الأبيات يسترضيه بها فلقيت هذه الأبيات حظوة عنده ، ورد عليها بقوله:

(الثناء والمدحة أحب إلينا) ويقدم الجاحظ هذه الأبيات بقوله: (وقال سلامة بن جندل هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود بن مرثد، وكان أخوه أحمد بن جندل أسيراً فى يده فأطلقه له). والجاحظ يعتمد فىذكر المناسبة على معلوماته التاريخية التى ترتبط بالأبيات وتساعد فى فهم دلالاتها ، وهو فى ذلك لا يستنطق الأبيات، وإنما يستنطق ذاكرته.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ذكر مناسبة قول ابن شبرمة(١٧٦):

فإن كانت الدنيا تُحَبّ فإنها سحابة صيف عن قليل تقشع

حيث يذكر الجاحظ أن ابن شبرمة قال هذا البيت فى لحظة مر به طارق صاحب شرط خالد بن عبد الله القسرى فقال ابن شبرمة هذا البيت يعبر فيه عن أن النعيم سرعان ما يزول فى إيحاء إلى ضيقه ، غير أنه قد تبدل الحال فتولى ابن شبرمة القضاء ، فذكره ابنه بقوله يوم مرور طارق فى موكبه . ويقول الجاحظ فى ذلك : (وقال أبو فروة : كان طارق صاحب شرط خالد بن عبد الله القسرى مر بابن شبرمة وطارق فى موكبه... فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء، فقال ابنه : أتذكر قولك يوم مر طارق فى موكبه ؟ فقال يا بنى: إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم. يا بنى إن أباك أكل من حلوائهم، وحط فى أهوائهم) ٠ وفى ذلك يستمد الجاحظ أيضاً المناسبة من ثقافته التاريخية عن عصر الأمويين ، والأمثلة على ذلك كثيرة مما لا يحصى فى تتبع الجاحظ للمناسبات التى قيلت فيها الأبيات(١٧٧).

وقد يلجأ الجاحظ إلى الترجمة للشاعر صاحب النص من الحين إلى الآخر، فقد كان الجاحظ يترجم لشعراء شواهده، وتتفاوت المعلومات التى يعرضها من شاعر إلى آخر فأحيانا تجده لا يميل إلى الإطالة ، وإنما يكتفى بمعلومة يعرف من خلالها الشاعر أو يبين نسبه أو صلته بأحد الأدباء المعروفين...إلخ ومن ذلك قوله فى هذا الشاهد: (١٧٨).

(وقال بعد ذلك سليمان الأعمى، أخو مسلم بن الوليد الأنصارى الشاعر في اعتذار بشار لإبليس وهو يخبر عن كرم خصال الأرض:

لابد للأرض إن طابت وإن خبثت ... من أن تحيل إليها كل مغروس

وتربة الأرض إن جيدت وإن قحطت ... فحملها أبدًا فى إثر منفوس

وبطنها بفلز الأرض ذو خبر ... بكل ذى جوهر فى الأرض مرموس

وبحس الجاحظ النقدى الذى أشرنا إليه من قبل أدرك أن هناك كثيراً من القراء لن يعرفوا صاحب الشاهد سليمان الأعمى، بينما شقيقه شاعر مشهور هو مسلم بن الوليد فذكر صلة القرابة بينهما ليعرفه الناس.

وحينما تحدث الجاحظ عن الخطباء الشعراء ذكر منهم زيد بن جندب الإيادي ، وأرد أن يبين تفوقه فى الخطابة إلى جانب الشعر، فوصفه بأنه الخطيب الأزرقى، أنه خطيب الأزارقة ، وعرض له بيتاً قال إنه من قصيدة يرثى فيها أبا دواد بن حريز الإيادى وهو قوله : (١٧٩)

كقس إياد أو لقيط بن معبد ... وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

ثم استمر الجاحظ يترجم لزيد بن جندب قائلاً : (١٨٠) (وزيد بن جندب هو الذى قال فى الاختلاف الذى وقع بين الأزارقة) :

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا على دين ففرقنا ... طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم ... عن الجدال وأغناهم عن الخطب

إنى لأهونكم فى الأرض مضطرباً ... مالى سوى فرسى والرمح من نشب

وفى مواقف أخرى نجد الجاحظ يتجه إلى شيء من الإطالة والإسهاب فى ترجمته لشاعره كما فعل فى ترجمته لأحد الشعراء الخطباء وهو كلثوم بن عمرو العتابى، فمما كتبه عنه قوله: (١٨١) (ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العتابى،

وكنيتة أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين، كنحو منصور النمرى، ومسلم بن الوليد الأنصارى وأشباههما. وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع . ولم يكن فى المولدين أصوب بديعاً من بشار، وابن هرمة . والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال:

إنى امرؤ هدم الإقتار مأثرتى	واجتاح ما بنت الأيام من خطرى
أيام عمرو بن كلثوم يسوده	حيًّا ربيعة والأفناء من مضر
أرومة عطلتنى من مكارمها	كالقوس عطلها الرامى من الوتر

وكأنما أراد الجاحظ بهذا السرد إبراز مكانة العتابى ودوره فى مجال البديع وتطوره. واستمر فى ترجمته للعتابى قائلاً: (ودل فى هذه القصيدة على أنه كان قصيراً بقوله:

نهى ظراف الغوانى عن مواصلتى   ما يفجأ العين من شيبى ومن قصرى

على هذا النهج كانت ترجمة الجاحظ لكثير من شعراء شواهده : يوجز أحياناً إذا كان الإيجاز كافيا، ويطيل إذا كان يريد إظهارأكثر من جانب من جوانب شخصية المترجم له.

والجاحظ فى هذا يخرج خارج النص الأدبى فيستحضر من ثقافته ما يحيط بالشاعر ، فيذكر نسبه وقبيلته وما مر به فيما يشبه ترجمة حقيقية للشاعر، تساعد فى إضاءة النص الشعرى ، وتقربه إلى المتلقى تحقيقاً لمبدأ البيان والإفهام. والجاحظ قد يلجأ إلى وصف الشعراء فمن ذلك وصفه لمسلمة بن عبد الملك الذى قال:

إذا مقرم منا ذرا حد نابه   تخمَّط فيه نابُ آخَرَ مُقرِم

فيصف الجاحظ مسلمة هذا بالشجاعة بقوله: (وكان مسلمة شجاعاً خطيباً وبارع اللسان جواداً، ولم يكن فى ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده) [١٨٢] .

فالجاحظ فى ذلك يلجأ إلى الإلمام الكامل بترجمة عن الشاعر: ذكره ونسبة وصفاته. وقد يلجأ إلى الحديث عمن قيل فيهم الشعر، فهو يصف والبة بصغر الرأس وهو الذى عناه أبو العتاهية بقوله:

رءوس عِصِيٍّ كن من عود أثلة لها قادح يبرى وآخرُ مُخْرِبُ

والجاحظ يشير إلى سخرية أبى العتاهية من والبه ومن قومه وكذلك في وصف الزبرقان بن بدر لصبغ العمامة بصفرة وأن ذلك ما عناه الشاعر بقوله(١٨٤):

وأشه من عوف حلولا كثيرة يحجون ست الزبرقان المزعفرا

فالجاحظ لم يلم بترجمة الشاعر فحسب، وإنما ألم أيضاً بالترجمة للذين عناهم الشاعر بشعره. وفى ذلك يستمد الجاحظ من ثقافته التاريخية مما حول النص.

وقد يلجأ الجاحظ إلى شرح معلومة تاريخية اجتماعية تتعلق بالبيت الشعرى شرحاً مستفيضاً ، فقد علق الجاحظ على قول شاعر مجهول:

فولوا وأطراف الرماح عليهم قوادر مربوعاتها وطوالها

فيرى الجاحظ أن هناك من الرماح ما كان مربوعاً أو مخموساً وهى الطوال، وهناك من الرماح ما كان قصيرا مثل النيازك والنيزك ، ولكل فائدته فى الغارة ، فالقصير يستخدم فى المطاردة والطويل يستخدم فى القتال (١٨٥).

وفى كل ذلك يدور الجاحظ حول النص الشعرى ويحاول تفسيره، فمرة يتحدث عما يتصل به من مناسبة، ومرة يتحدث عن شاعره، ومرة يتحدث عما يتصل به من عادات حربية أو قتالية أو اجتماعية. وهو فى ذلك يستمد من ثقافته الاجتماعية والتاريخية والبيئية أو ما شابه ذلك مما يعد جزءاً مما نطلق عليه حالياً "السياق الثقافى للأدب".

وقد يلجأ الجاحظ إلى تأصيل البيت الشعرى فيرد البيت الشعرى إلى أصله فيما عرف بعد ذلك بالسرقات الشعرية. ومن الأمثلة على ذلك رده قول يزيد بن مفرغ (١٨٦):

العبـد يقـرع بالعصـــا والحـر تكفيـه الملامـة

إلى قول القفلتان الفهمى :

العبـد يقـرع بالعصـــا والحـر تكفيـه الإشـارة

فالجاحظ هنا يقوم بدور الناقد الذى يحلل النص راداً إياه إلى أصله الأول عند قائل آخر معتمداً أيضاً على ثقافته الأدبية الواسعة. ولذلك أضاف إلى هذه المسألة قول بشار بن برد:

الحر يلحى والعصا للعبـد وليـس للمحلف مثل الرد

وكذلك قول أبى داود:

والعبـد يقـرع بالعصـــا والحـر تكفيـه المقالـة

والجاحظ بذلك يفتح باباً استخدمه النقاد للمقارنة بين الشعراء وشكل مقياساً نقدياً عندهم عرف باسم السرقات الأدبية.

وهناك مظاهر أخرى متنوعة: فى كتاب الجاحظ يمكن أن يقف الباحث عليها لاهتمامه بالنص الشعرى ، من ذلك مثلاً الاهتمام بسند النص وروايته كما قال عن هذا البيت عن قطرب[١٨٧] :

(قال قطرب : أنشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر فى واصل بن عطاء:

ويجعل البر قمحا فى تصرفه وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاذ بالغيث إشفاقا من المطـر

وعرض الجاحظ أيضا هذا النص الشعرى فى الموضوع نفسه مهتماً برواية سنده [١٨٨]:

(وأنشدنى ديسم قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدى:

وخلة اللفظ فى الياءات إن ذكرت كخلة اللفظ فـى اللامـات والألـف
وخصلة الراء فيها غير خافية فاعرف مواقعها فى القول والصحف

ويعلق الجاحظ على هذا النص فى موقف نقدى لا يخفى فيه دفاعه عن لغة واصل فيقول : (يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها والحاجة إليها أشد . واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب...)[١٨٨].

ويأتى هذا الشاهد ضمن شواهد عيوب النطق ومنها هنا اللثغة فى الراء عند واصل بن عطاء – ويهتم الجاحظ كثيراً بموضوع رواية البيت وتوثيق سنده، وهذا يؤكد صفة الدقة والعناية الفائقة التى كان عليها الجاحظ خاصة أن الموضوع هنا يتعلق بواصل بن عطاء– إمام المعتزلة حيث انتماء الجاحظ ، ومن هنا كان اهتمامه أيضاً بتوثيق النصوص التى استشهد بها فى موضوع وصفه بالغزّال ومنها قوله فى النص التالى [١٨٩]:

قال أبو عثمان: فمن ذلك ما خبرنا به الأصمعى قال : أنشدنى المعتمر بن سليمان، لإسحاق بن سويد العدوى:

برئت من الخوارج لست منهم	من الغزّال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليا	يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى	وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا	به أرجو غداً حسن الثواب

ومسألة اهتمام الجاحظ برواية شاهده الشعرى منتشرة فى كتابه، بل فى كتبه الأخرى مما يؤكد أنها سمة من سمات كتابة الجاحظ تشير إلى وجود عنصر التوثيق والتدقيق رغم الاتجاه الموسوعى فى كتابته إذ مع هذه الإطالة وهذا التشعب فإنه لا يكل ولا يمل فى مزج هذا التشعب والتنوع بالدقة والموضوعية.

ومن مظاهر اهتمام الجاحظ بالنص الشعرى أيضاً استشهاده أحيانا بقصائد كاملة وليس ببيت أو بيتين أو مقطوعة، وأحيانا يستشهد بجانب كبير من القصيدة، ففى قضية وصف واصل بن عطاء بأنه غزّال، وهى القضية التى اهتم الجاحظ بها كثيراً، وأشرنا إليها من قبل ، عرض قصيدة من اثنين وعشرين بيتا لصفوان الأنصارى يرد فيها على بشار بن برد منها قوله [١٩٠]:

متى كان غزّال له يا ابن حوشب غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضر
أما كان عثمان الطويل ابن خالد أو القرم حفص نُهْيَةً للمخاطـــر
له خلف شعب الصين فى كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجـال دعـاة لا يفـل عزيمهم تهكـم جبـار ولا كيـد ماكر

وهى قصيدة طويلة كما قلنا أخذ فيها صفوان الأنصارى يدافع عن واصل بن عطاء ومن معه ويهجو بشار بن برد. ويذكر الجاحظ له بعد ذلك مباشرة قصيدة أخرى مكونة من أربعة وثلاثين بيتا فى الموضوع نفسه أى هجـاء بشار والدفـاع عن واصل، وإن كان فى الثانية يركز على هجاء بشار أكثر ، وفيها يقول[١٩١]:

زعمت بأن النار أكرم عنصراً وفى الأرض تحيا بالحجارة والزند
وتخلق فى أرحامها وأرومها أعاجيـب لا تحصى بخط ولا عقد
وفى القعر من لج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

إلى أن يقول:

فيا ابن حليف الطين واللوم والعمى وأبعد خلق الله من طرق الرشد
أتهجو أبا بكر وتخلع بعـده علياً وتعزو كل ذلك إلى برد
كأنك غضبان على الدين كلـه وطالب ذحـل لا يبيت على حقد
رجعت إلى الأمصار من بعد واصل وكنت شريدا فى التهائم والنجد

وفى القضية ذاتها يذكر الجاحظ جانبا آخر من قصيدةأخررى للشاعر ذاته صفوان الأنصارى. يذكر فيها تسعة أبيات تبدأ بقوله:[١٩٢].

وفى جوفها للعبد أستر منزل وفى ظهرها يقضى فرائضه العبد
تمج لفاظ الملح مجاً وتصطفى سبائـك لا تصدا وإن قدم العهد

واستخدام الجاحظ للنصوص الشعرية الطويلة إنما مـرده إلـى عنصرين أساسيين :

الأول أهمية الموضوع أو القضية المثارة. وقد سبق الإشارة إلى أهمية موضوع واصل بن عطاء بالنسبة للجاحظ؛ ولهذا كان تركيزه عليه، واهتمامه به، واستخدامه لهذه النصوص الشعرية المطولة، خاصة من شاعر يدين بالولاء لواصل ابن عطاء أيضاً هو صفوان الأنصارى.

وأما العنصر الثانى الذى ساعد الجاحظ على ذلك فهو ثراء مخزونه الشعرى، ولهذا لم يكن يجد صعوبة فى الحصول على مادته الشعرية إذا أراد الإطالة.

وهكذا وقف الجاحظ من شواهده موقف المتأمل الدارس الناقد المعلق المتعمق فى النص، وما يحيط بالنص، فلقد تناول الشاهد الشعرى بوصفه مجرداً، يستحضره من حافظته ليدعم به منطوقه النثرى، بل يعدد من الشواهد فى الفكرة الواحدة. كما لجأ إلى التعامل مع النص فى عدد من النقاط: فقد يلجأ إلى شرح المفردات الغريبة والعجيبة، أو يقوم بشرح المعانى المدلول عليها فى النص، أو باستنتاجها، أو قد يقوم بالتعليق عليها فيما يمس ترجمة صاحبها، أو الإشارة إلى ملغز نقدى، أو توضيح نقطة غامضة أو تفسير موقف أو شىء ما فى الشاهد يمكن أن يسمى بالدراسة النصية المتكاملة .

وقد يخرج عن النص ليتناول الموقف الكلامى الذى يحيط بالنص ، أو العلاقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية التى يدور فيها النص، أو يتناول أطراف النص من متلق فيما يمكن أن نسميه: (السياق الثقافى للنص) .

* *

المحور الثالث

توظيف النص الشعرى

لقد أجاد الجاحظ فى استنزال الشاهد الشعري من منظومة الثقافة العربية التى سبقته، وطرحه لكى يكون أداة طيعة وقوية تحسن العرض والإفهام، وتكون لمن

يقرأ الكتاب أوضح وأظهر وأنفع للفهم. كما استطاع في إجادة تامة أن يطوع شواهده لتؤدي الوظائف الأساسية التي بنى عليها كتابه من إخبار وتعليم وتثقيف.

إن من يقرأ كتاب "البيان والتبيين" يسترعيه أن هناك غاية ما تقف وراء موضوع الكتاب ومنهجيته ، وتتمثل هذه الغاية في وضع توظيف معين ، ولم يغفل الجاحظ عن هذا التوظيف حتى في تعريفه لكلمة بيان والتي مال فيها إلى ما يعرف بالتعبيرية في منطوق البحث اللساني وهو أن يعبر الكلام عما يختلج في النفس الإنسانية من مشاعر وذلك في قوله : (البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته) ، كما أشار الجاحظ إلى عدد من الوظائف التي تمليها طبيعة البيان بهذا المعنى، ومن هذه الوظائف الوظيفة الإخبارية والوظيفة الشعرية والوظيفة الرمزية (ما وراء اللغة) ، وهي وظائف تكشفت فيما بعد في المنطوق اللساني عند عدد من أعلام علم اللغة خاصة اندرونمارتيني ورومان جاكبسون، ففي حين قصر الأول وظائف اللغة عموماً على وظائف الإخبار والجمال (الوظيفة الإخبارية والوظيفة الجمالية) وسع الثاني (جاكبسون) هاتين الوظيفتين إلى ست وظائف (المرجعية – التعبيرية – الإنشائية – ما بعد اللسانية– الاتصالية– الشعرية) [١٩٣] . وكأن الجاحظ سابق بهذه الوظائف التي تنسحب على اللغة في أطرها البسيطة والإبداعية.

وتقوم الشواهد عامة والشواهد الشعرية خاصة بتحمل أداء هذه الوظائف لأنها تعبر وبشكل كبير عن كون الجاحظ مبدعًا يقوم بعمليتين:

- الفهم من السابقين.
- الإفهام لمن يتلقى كتابه.

فإذا كان الحديث عن البيان يستدعي أن يكون له وظائف عدة، وسلاح الجاحظ في توضيح هذه الوظائف لابد أن يكون الشاهد الشعري؛ لأن الشاهد الشعري منذ النظرة الأولى للكتاب يحتل كما كبيراً إذا قورن بالنصوص القرآنية والحديثية والنثرية بصفة عامة، ومن هنا يمكن القول أن الشاهد الشعري قد قام بتأدية هذه الوظائف التي أشار إليها الجاحظ في كتابه.

١-الوظيفة الإخبارية التوصيلية (المرجعية):

تتخصص هذه الوظيفة فى بيان أن للغة قدرة على توصيل المعلومة أو الفكــو وإبلاغ المخاطب بالخبر، أو إرجاعه إليه. وترتبط أساساً بالإشارة إلى الموضوع أو الأفكار التى تمثل مادة الحديث، والجاحظ يشير إلى هذه الوظيفة من قريب وبعيــد، فهو يتكلم عن أن للشيء معنى ودلالة ، فمتى دل الشيء على معناه فقد أخبر عمـــا فيه حيث يقول: (ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا ، وهذا القول شائع فى جميع اللغات ومتفق عليه مـــع إفــراط الاختلافات) (١٩٤).

ويبدو أن هذه الفكرة قد لازمت الجاحظ منذ أول كتابه حتى نهايته وإلا فلمــلذا افتتح كتابه بالتعوذ من العى والحصر؟ (ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعــوذ بك من العى والحصر) (١٩٥).

بل إن الجاحظ لا يقف أمام هذا التعوذ من الحصر، بل يستدعى إلى الذهـــن شواهد عربية قديمة للنجاة من الحصر والعى كما فى قول النمر بن تولب (١٩٦).

أعذنى ربٍّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نفس أعالجها علاجا

وقال الهذلى: (١٩٧)

ولا حَصِــــرٌ بخطبتــــه إذا ما عــزت الخطـــب

وتستمر هذه الشواهد لشعراء آخرين مثل بشار وزبان بن سيار وابن الأحمــو الباهلى ومحرز بن علقمة ومكى بن سوادة... وغيرهم (١٩٧) .

وقد تلجأ الوظيفة الإخبارية فى بعض الأحيان إلى التعليم ولذلك يقول الجاحظ متحدثا عن هذه الوظيفة : (وهذا كلام شريف نافع، فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه ثم اعلموا...) (١٩٨).

وكثيراً ما يتكرر مثل هذه العبارات من توجيه الجاحظ إلى ضرورة الحفـــظ والتعلم والتنبيه ، مما يشير إلى أن هناك وظيفة تعليمية تقف وراء شواهده، ولكـــى

يرسخ الجاحظ هذه الوظيفة التعليمية يلجأ إلى ذكر الشواهد في مواضعها معقبا عليها بشرح الألفاظ أو شرح المعانى أو ذكر المناسبات حتى تكون الفكرة أو المعلومة أيسر وأسهل فتحفظ وتفهم ويكتب على منوالها. وتغزر الشواهد الشعرية التى يستغل فيها الجاحظ مقدرته على الشرح والتفسير على طول أجزائه الأربعة، والجاحظ فى صدد توظيف الشاهد الشعرى لخدمة الجانب الإيصالى يلجأ إلى طريقتين مهمتين:

الطريقة الأولى: أن يردفه خلف الموضوع وهو في ذلك يتحدث عن موضوعات إيصالية تتمثل فى التعوذ من العى والحصر والتشعب والتقعيب ، ثم الحديث عن الحروف التى تدخلها اللثغة وتبعدها عن الفصاحة والإبانة، ثم الحديث عن اختزان الألفاظ واختزان الحروف، ثم الحديث عن البيان وتعريفه ودلالته باللفظ أو بالإشارة أو بالعقد أو بالخط أو بالحال، ثم الانتقال إلى ما يجانب البيان من صفات الحمق والنوك والعى ولذلك يذكر أبوابا من العى واللحن والقلق والغفلة وكلها تدور فى الحديث عن الإيصال وآلياته وعيوبه. ممنا يتعلق بالوظيفة الإخبارية، والشاهد الشعرى مسخر تماماً فى خدمة ذلك ؛ ففى كل موضوع من هذه الموضوعات يذكر الجاحظ من حافظته العامرة ألوانا من الشواهد التى يستدعى بعضها بعضا، ففى حديثه عن اللثغة يستشهد بقول أبى الطروق الضبى:

عليم بإبدال الحروف وقامع　　　لكل خطيب يغلب الحقَّ باطله

وببيتى بشار الأعمى:

ما لى أشايع غزَّالا له عنق　　　كنقنق الدوِّ إن ولَّى وإن مَثَلا

عنق الزرافة ما بالى وبالكم　　　أتُكْفِرون رجالاً أكْفَرُوا رجلاً (١٩٩)

وهو يشير بذلك إلى واصل بن عطاء وما كان به من لثغة، بل يفرد الجاحظ صفحات للحديث عن واصل وتلقيبه بالغزال يستشهد فيه بأقوال إسحق بن سويد العدوى ومعدان الشميطى وبشار بن برد وصفوان الأنصارى، بل يستغل ما ورد فى محاجات بين بشار وبين صفوان . فيستشهد بقول صفوان:

متى كان غزَّال له يا بن حوشب غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضر

أما كان عثمان الطويل ابن خا أو القرم حفص نُهيَةً للمخاطـــــر

له خلف شعب الصين فى كل ثغو إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر

رجال دعاه لا يفل عزيمهـــــم تهكـم جبــار ولا كيد ماكــر (٢٠٠)

وفى حديث الجاحظ عن حروف اللثغة يستشهد بقول عمر بن أبى ربيعة فـــى إبدال الراء ذالاً فى كلمة مرة فى قوله:

واستبـــدت مرة واحـــــدة إنما العاجــز من لا يستبــد

وذلك فى قول الألثغ فى حرف الراء:

واستبدت مــذه واحـــدة إنمــا العاجز من لا يستبـد

بل إن الجاحظ يبدل الراء غينا فى بيت عمر بن أبى ربيعة استشهاداً باللثغ فى حرف الراء(٢٠١).

ويستشهد الجاحظ بأقوال عديدة من شعر رؤبة بن العجاج وشعر أبى الزحـف ابن عطاء بن الخطفى ابن عم جرير ومن شعر الخولانى على التعتعة فى اللســان فى حرف التاء وفى حرف الفاء (٢٠٢) وتعذر الأمثلة فى ذلك عنــد ذكــر الحبســة والإثقال والفأفأة والتمتمة.

ويستشهد الجاحظ على اقتران الألفاظ وتداخلها وهو ما عرف بعد ذلك بتنــافر الحروف فى البلاغة العربية- بقول الشاعر:

وقبر حـــرب بمكـــان قفـــر وليس قرب قبر حرب قبـــر

وكذلك بقول ابن يسير فى أحمد بن يوسف حين استباه:

هل معين على البكا والعويــل أم مُعَزٌّ على المصاب الجليل

ميت مات وهو فى ورق العيـــ ش مقيــم به وظــل ظليــل

وبأبيات أخرى (٢٠٣).

وفى اقتران الحروف يستشهد بقول أبى عبيدة(٢٠٤).

فتى زاده السلطان فى الود رفعة إذ غير السلطان كل خليل

وقول سحيم عبد بنى الحسحاس [٢٠٤].

عميرةَ ودِّعْ إن تجهزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

تتعدد شواهد الجاحظ فى حديثه عن البيان ودلالاته بـــاللفظ أو بالإشــارة أو بالدلالة أو بالعقد أو بالخط أو بالحال ، ومنها استشهاده بأشعار لشعراء مجـــهولين وبأشعار عنترة والراعى النمرى ومن ذلك قول الشاعر: [٢٠٥]

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها مــــن المحبة أو بغض إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صامتـــــة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

بل إن الجاحظ يفرد فى الجزء الثانى من كتابه صفحات كثيرة لأقوال النوكــى وأهل العى وأخطاء العلماء [٢٠٦] وهو يشير بذلك إلى ما يضاد البيـــان ، وتكــثر أمثلة الجاحظ فى ذلك ويقصد بهم طائفة من العرب ممن فى أقوالهم لحن وغفلـــة وليسوا مما اشتهروا بالجنون مثل مجنون بنى عامر ومجنون بنى جعدة حيث يقول : (وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب العى واللحن والغلط والغفلة؛ أبواباً طريفــة، ونذكر فيه النوكى من الوجوه ومجانين العرب، ومن ضرب به المثل منهم، ونوادر من كلامهم، ومجانين الشعراء ، ولست أعنى مثل مجنون بنى عامر ، ومجنون بنى جعدة ، وإنما أعنى مثل أبى حية في أهل البادية ، ومثـــل جعيفــران فـــى أهــل الأمصار، ومثل أريسيموس اليونانى) [٢٠٧].

وفى ذلك وظف الجاحظ النص الشعرى كشاهد يؤيد بـــه كلامـــه فـــى هــذه الموضوعات ، أو بمفهوم الجاحظ يقوم بدور الإفهام للمتلقى ، فالشـــاهد الشــعرى شاهد لأفكار الجاحظ وبيان لها وتفهم لها ولموضوعاتها.

٢-الطريقة الثانية:

عمد الجاحظ إلى إيضاح شاهده وتأييده فى برهنته على موضوعــه بشـــرح ألفاظه او بشرح معانيه أو بذكر شىء فى مناسبته، وهو فى ذلك يريد أن يمعن فــى الإخبار، وفى توصيل فكرته ، وتوضيحها حتى تصبح وسيلة تعليمية فـــى نهايـــة

الأمر.والأمثلة على ذلك كثيرة، فهو يستشهد بقول عنترة بن شداد العبسى فى معرض الحديث عن دلالات البيان حيث يقول عنترة معبراً عن نعيب الغراب خبراً للزاجر:

حَرِقُ الجناح كأن لِحْيَىْ رأسه جَلَمان بالأخبار هشٌّ مولَع

ويفسر الجاحظ الألفاظ بل فيقول:

الحرق: الأسود . شبه لحييه بالجلمين، لأن الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان (٢٠٨).

وهو فى ذلك يلجأ إلى شرح دلالات الألفاظ كما يشرح جزءاً من المعنى العام كما يستشهد الجاحظ بقول أبى الردينى العكلى فى تنسم الذئب الريح واستنشائه واسترواحه:

يستخبر الريح إذا لم يسمع بمثل مقراع الصفا الموقع

والجاحظ يفسر الألفاظ والجمل فيقول : المقراع : الفأس التى يكسر بها الصخر. والموقع : المحدد. ويقال الحديدة إذا حددتها (٢٠٩) . والجاحظ فى هذا يقوى من توظيف الشاهد لأداء وظيفة إخبارية أو تعليمية ، فيشرحه ، أو يفسر معانيه ومفرداته حتى يكون أكثر إخباراً وأكثر تعليماً. وتكثر مثل هذه الشواهد فى كتاب البيان والتبيين ، ففى معرض آخر يتحدث الجاحظ فى فضل العصا ، ويرد على الشعوبية، فيستشهد بقول الهيثم بن عدىّ عن شرقى بن القطامى فيقول : (وقال الهيثم بن عدى عن شرقى بن القطامى وسأله سائل عن قول الشاعر:

لا تعذلن أتاويين تضربهم نكباء صِرٌ بأصحاب المحلات

(قال :المحلات: الدلو والمقدحة والقربة، قال : فأين أنت عن العصا؟ والصفن خير من الدلو وأجمع) (٢١٠).

وقد يلجأ الجاحظ إلى شرح المعنى أو يستنتج منه آخر وذلك مثل قوله:

والعصا تنوب للأعمى عن قائده، وهى للقصار والفاشكار والدباغ ومنها المفأد للملة والمحراك للتنور. قال الشاعر:

إذا كان ضرب الخبز مسحا بخرقة وأخمد دون الطارق المتنور

(كأنه كره أن ينفض عنها الرماد بعصا فيستدل على أنه قد أنضج خبزته، يصفه بالبخل) (٢١١). والجاحظ فى هذا يستنتج المعنى الذى يقوى من شاهده فى موقعه وموضعه . وقد يلجأ الجاحظ إلى ذكر المناسبة التى قيل فيها البيت، فيذكر مناسبته لقول الشاعر:

فلا غرثَ ما كان فى الناس كربج وما بقيتْ فى رجل حيدانَ إصبع

وذلك فى قصة طريفة يذكرها عن أعرابيين طريفين حيث يقول الجاحظ : (لا نعرف شعراً يشبه معنى شعر غنية بعينه لا يغادر منه شيئاً، ولكن زعم بعض أصحابنا أن أعرابيين ظريفين من شياطين الأعراب حطمتهما السنة، فانحدرا إلى العراق، واسم أحدهما حيدان، فبينا هما يتماشيان فى السوق إذا فارس قد أوطأ دابته رجل حيدان فقطع إصبعاً من أصابعه، فتعلقا به حتى أخذا منه أرش الإصبع، وكانا جائعين مقرورين، فحين صار المال فى أيديهما قصدا لبعض الكرابج ، فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما أكل صاحب حيدان وشبع أنشأ يقول:

فلا غَرَثٌ ما كان فى الناس كربج وما بقيتْ فى رجل حيدانَ إصبع

وهذا الشعر وشعر غنية من الظرف الناصع الذى سمعت به ، وظرف الأعراب لا يقوم له شيء)(٢١٢) .

فالجاحظ يقوى من ذكر شاهده بذكر المناسبة والقصة التى ورد فيها، وذلك تقوية للإخبار والتعليم. وعلى هذا الأساس قدم الجاحظ فى إطار الوظيفة الإخبارية شواهده خادمة لموضوعاتها، ومشروحة ومفسرة إلى حد ما لكى تقوم بوظيفة الإيضاح والإيصال والإفهام ، أى المرجعية.

٢-الوظيفة البلاغية / الشعرية الجمالية:-

تنصب هذه الوظيفة أساساً على الكلام نفسه أو على اللغة فى إطارها الجمالى وقدرتها على الإبداع وإثارة الإعجاب . (٢١٣) وقد تنبه الجاحظ إلى هذه الوظيفة

ووجه إليها الاهتمام فى أكثر من مناسبة حيث قال ناصحاً : (قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم، وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة، ويشا كلانك فى بعض المشاكلة ؛ ولا تهمل طبيعتك فيستولى الإهمال على قوة القريحة، ويستبد بها سوء العادة . وإن كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ فى الخطابة والبلاغة ، وبقوة المنة يوم الحفل، فلا تقصر فى التماس أعلاها سورة، وأرفعها فى البيان منزلة، ولا يقطعنك تهييب الجهلاء، وتخويف الجبناء؛ ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها، المتأولة على أقبح مخارجها)(٢١٤).

فقد تنبه الجاحظ إلى أن للغة وظيفة أخرى لا تقف عند حدود توصيل الأخبار والمعلومات والمضمون، وإنما تتعداها إلى وظيفة أخرى وهى الإبداع أو إظهار الجمال، كما تنبه الجاحظ أيضا إلى أن هذه الوظيفة تقتضى أن يصاغ الكلام على ترتيب بديع فى تراكيبه اللغوية وتصوراته حيث حكم الجاحظ على المعانى بالبسط والكثرة، بينما حكم على الألفاظ بالمحدودية (ثم اعلم- حفظك الله- أن حكم المعانى خلاف حكم الألفاظ، لأن المعانى مبسوطة إلى غير غاية ، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعانى مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة) (٢١٥)، بل إن الجمال عنده كامن فى جمال الصياغة والألفاظ وليس فى المعنى حيث نراه يعلق على كلمة على بن أبى طالب : (قيمة كل امرئ ما يحسن) ، فيقول الجاحظ منوها ببلاغة الألفاظ : (قال على رحمه الله : قيمة كل امرئ ما يحسن. فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية ، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه فى ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه، وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع، بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال، مصونا عن التكلف، صنع فى القلوب صنيع الغيث فى التربة الكريمة. ومتى فصلت الكلمة عن هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها

الله من التوفيق، ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة) [٢١٦].

فالجاحظ فى هذا ينبه تمام التنبيه إلى المزية التى جعلت للكلام وظيفة جمالية وأن هذه الوظيفة تركز على صياغته الشكلية، ولكى يرسخ الجاحظ هذه الوظيفة نجده فى عدد من المواضع يشير إليها، فهو يشير فى موضع آخر إلى ضوورة أن يخلص الكلام من التزايد والفضول والسلاطة والبذاءة، حتى تتم له مزية البلاغة فيقول:

(قال: وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة، والتحبير والبلاغة، والتخلص والرشاقة،فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر، والتكلف والإسهاب والإكثار ؛ لما فى ذلك من التزايد والمباهاة ، واتباع الهوى ، والمنافسة فى الغلو، وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة، لأن ذلك يدعو إلى السلاطة ، والسلاطة تدعو إلى البذاء . وكل مراء فى الأرض فإنما هو من نتاج الفضول) [٢١٧].

فالجاحظ يهتم بهذه الوظيفة ، ويشير إليها، ويبين أثرها فى المتلقى، فهى مؤثرة فيه ، خاصة إذا بعدت عن كل مظاهر الحشو والإسهاب والزيادات، مما يعيب الصياغة اللفظية فى آخر الأمر.

والجاحظ لكى يبين أثر هذه الوظيفة على البيان استعرض فصولاً كاملة عن البلاغة، فقد تحدث عن تعريف البلاغة ، من خلال أقوال العلماء فيها حتى عند الأمم الأخرى، كالفرس والهنود واليونان فذكر من الفرس: سهل بن هارون وأبا الأشعث وابن الأعرابى والمفضل [٢١٨] ، كما ذكر الجاحظ أقوالا للبلغاء والخطباء والأنبياء والفقهاء والأمراء فى حديث طويل منهم: إياس بن معاوية وزيد بن صوحان وعمر بن عبد العزيز رحمه الله وآخرون [٢١٩] وقد استدعت هذه الظاهرة أن يكثر الجاحظ من اختيار أمثلة أخرى من كلام المعلمين [٢٢٠] وكلام الربانيين من الأدباء وأهل المعرفة والنساك وتأدية العلماء الحديث الحسن الموجز ، ثم يورد نقولا أخرى عن الأسجاع فى الكلام [٢٢١] . وقد أكثر الجاحظ من ذكر هذه الأمثلة فى الأجزاء التالية على غير ترتيب، ويضيف إليها كلام النوكى والحمقى

وأهل العى. وكأن الجاحظ حسب نظريته الاعتزالية يجمع ما بين أقـــوال البلغـاء وأقوال أهل العى ، بما يبين الشيء وضده حتى تكتمل الصورة.

ويفهم من كلام الجاحظ أنه يقصد بهذه الوظيفة أنها تهتم بالجانب الفنى مـــن اللغة وهو الجانب الذى يتناول اللغة فى شكلها غير المباشر الذى يـــهتم بـــالصورة التى تحدث التأثير فى المتلقى كالإعجاب كما يقول بيير حيرو : (البلاغة دراســـة اللغة، منظورة من خلال وظيفتها. والصور أشكال مصممة تـــهدف إلـــى إحـــداث التأثير ، وإثارة الإعجاب والتلون، كل ذلك بقوة وغرابة وهى وظيفـــة الأســـلوب اللامباشر التى تركز على الصورة) [٢٢٢].

وفى إطار ذلك يركز الجاحظ على الشاهد الشعرى حيث يجعله كالمرآة التـــى تظهر فيها بلاغة الألفاظ من ناحية ، ويزيد من تأثير هذا الشـــاهد بـــأن يشـــرحه ويحمله أفكاره، فالجاحظ أمام هذه الوظيفة يحبذ الشاهد الشعرى لتأدية آرائـــه فـــى إبراز مفهوم البلاغة وإبراز ماهية الجمال والوظيفة الجمالية كوظيفة يقدم بها اللغـــة ولا يتمثل هذا الإبراز إلا فى طرح كم غزير من الأمثلة والشواهد الشعرية التـــى تتناسب مع كل فرقة من الفرق التى عرض لـــها كالبلغـــاء والمعلميـــن والنســـاك والأعراب حتى الطوائف التى حرمت من البلاغة مثل النوكى والحمقى وأهل العى. ومن ناحية ثانية يشرح الجاحظ شواهده حتى تكون أكثر إفـــهاماً وإبانـــة للمتلقيـــن بطرق مختلفة مثل شرح الألفاظ أو شرح المعنى أو شرح المناسبة أو الحديث عـــن الصورة الخيالية فى شواهده. ويمكن الحديث عن توظيف الشاهد فى هذه الوظيفـــة البلاغية من هاتين الناحيتين:

الناحية الأولى قيام الشاهد بدور الشارح لأفكار الجاحظ فى البلاغـــة. ولقـــد استشهد الجاحظ على أن البلاغة تعنى الإيجاز والإصابة بقول دريد بن الصمة فـــى الخنساء: [٢٢٣].

ما إن رأيـــت ولا سمعـــت به　　　فى الناس طالى أينـــق جـــرب

متبـــذِّلاً تبـــدو محاسنـــه　　　يضع الهناء مواضع النقـــب

وهو تفسير لوصف الأعرابى أعرابياً بالإيجاز والإصابة فى قوله: كان والله يضع الهناء مواضع النقب. وهو فى ذلك يقصد أن يكون الكلام واللفظ على قدر المعنى إيجازا. بل إن الجاحظ يستشهد على إصابة المعنى ودقته بلفظ قليل فى هذا الموضع بتشبيه عند العرب هو التشبيه بالجزار الذى يصيب فى قطع المفصل، يقول الجاحظ: (ويقولون فى إصابة عين المعنى فى الكلام الموجز : "فلان يفل المحز، ويصيب المفصل" ، وأخذوا بذلك من صفة الجزار الحاذق، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز) [٢٢٤]. ويستشهد الجاحظ على ذلك بشواهد لأبى قطن الغنوى الراجز وابن الزبعرى والراعى النمرى ولبيد بن ربيعة وزهير بن أبى سلمى... وغيرهم.

فمن ذلك استشهاده بقول أبى قطن الغنوى : [٢٢٥].

فلو كنت مولى قيس عيلان لم	**تجد على لمخلوق من الناس درهما**
ولكننى مولى قضاعة كلها	**فلست أبالى أن أدين وتغرما**
أولئك قوم بارك الله فيهم	**على كل حال ما أعف وأكرما**
جفاة المحز لا يصيبون مفصلاً	**ولا يأكلون اللحم إلا تخذُّما**

وفى ذلك تقوم هذه الأبيات مقام المرآة الشارحة لآراء الجاحظ فى خصيصة من خصائص البلاغة وهى دقة الإصابة باللفظ القليل على المعنى.

ويستشهد الجاحظ فى مجال الحديث عن بلاغة اللسان بمدح جهارة الصوت وذم ضآلته وذلك بأشعار منسوبة إلى شعراء معروفين وآخرين مجهولين ومنهم يحيى بن نوفل وعبدة بن الطبيب والعجير السلولى والمهلهل بن ربيعة والأعشى وبشار والعمانى وطحلاء والنابغة الجعدى... وغيرهم [٢٢٦].

ومن ذلك قول المهلهل: [٢٢٧]

ولولا الريح أُسْمِعَ أهلُ حَجْرٍ	**صليلَ البيض تقرع بالذكور**

ويفسر الجاحظ : صليل البيض بمعنى : احتكاك أنيابه. وهو يشبه به صريف أنيابه فالبيت يأتى على صورة استعارة شبه فيها صريف الأنياب بصليل حديد السيوف.

والجاحظ انتبه فى ذلك إلى دور الصورة هنا أيضاً فى إبراز المعنى ، ويستشهد على خلو الألفاظ من العامى والملحون والسوقى الساقط بقول مالك بن أسماء فى استملاح اللحن من بعض نسائه (٢٢٨) .

أمغطى منى على بصرى للحب أم أنت أكمل الناس حسناً

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحياناً وأحلى الحديث ما كان لحنا

فالجاحظ وإن كان يعيب اللحن والألفاظ الملحونة، إلا أنه من خلال البيت يستشهد على صدق المنطق أى دقة المعنى.

ويتحدث الجاحظ عن الإيجاز فيستشهد بأقوال أخرى لثابت بن قطة وأبى وجزة السعدى والعكلى ومرداس السلمى وأبى دؤاد بن حريز الإيادى وطرفة بن العبد وخطام المجاشعى ومحمد بن زياد... وغيرهم (٢٢٩) ومن هذه الأمثلة قول أبى وجزة السعدى يصف كلام رجل : (٢٣٠).

يكفى قليل كلامه وكثيره ثبت إذا طال النضال مصيب

والجاحظ هنا يستدل صراحة على أفكاره من منطوق النص الشعرى ، مما يعطى دلالة أخرى تظهر فى أن الجاحظ قد يستمد أفكاره من النص الشعرى المستشهد به وليس من الفكر الخارج عنه ، وفى هذا دلالة قد تجيب على سؤال يطرحه الباحث فى كثير من الأحيان عن العلاقة الجدلية بين الشاهد والفكر النظرى : أيهما يستدعى الآخر ؟ فعلى الرغم من أن الفكر النظرى يستدعى من منطوق الكتاب عموماً فالباحث يشعر من خلال هذا المثال أن الشاهد نفسه قد يقوم بدورين

متناقضين هما التنظير والتطبيق فى آن واحد ، وأنه قد يملى على الجاحظ من خلال منطوقه الفكرى آراء ونظريات أكثر من كونه تطبيقاً له.

وفى موضع آخر يستشهد الجاحظ على ظهور الحجة وشدة العارضة وقوة المنة بشواهد عديدة من شعر أبى زبيد الطائى ونافع بن خليفة الغنوى والأسلع بن قصاف الطهوى والتميمى وأوس بن حجر وشتيم بن خويلد وابنة وثيمة بن عثمان والنمر بن تولب... وغيرهم [٢٣١] . ومن هذه الأمثلة قول ابنة وثيمة فى رثاء أبيها : [٢٣٢]

ألفيتـه مـأوى الأرا	مـل والمدفَّعة اليتيمـه
والدافـع الخصـم الألـد	إذا تفوضـح فـى الخصومـه
بلسـان لقـمان بـن عـا	د وفصـل خطبتـه الحكيمـه
ألجمتهـم بعـد التـدا	فع والتجاذب فـى الحكومـه

وينتبه الجاحظ إلى تشبيه هذه المرأة لوالدها بلقمان فى الفصاحة والعلم مما يبين أن إعجاب الجاحظ بهذا الشاهد ينطبق على تاييده لرأيه كما ينطبق على براعة الصورة والتشبيه فى تشبيه والدها. ويتناسب مع اعتبار لقمان بن عاد المثال الأعلى فى العلم والحكم واللغة واللسان، حيث يقول الجاحظ : "وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر لقيم بن لقمان ، في النباهة والقدر ، وفي العلم والحكم ، وفي اللسان والحلم. وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم على ما يقوله المفسرون" [٢٣٣].

والشاهد فى رأى الجاحظ هنا كغيره من الشواهد يثبت حجة الجاحظ ويقوم بدور بلاغى تطبيقى.

وفى هذه الشواهد يستشهد الجاحظ على أفكار تفسر البلاغة عنده أو تفسر البيان فى قمته الإبداعية فى أفكار عن إصابة اللفظ القليل للمعنى الكثير مثلاً ، والإيجاز وقوة الصوت فى الإلقاء وقوة الحجة ، وهى أمور تتعلق بالبلاغة بأقوال المعلمين والربانيين من الأدباء والنساك ، فمن كلام النساك استشهد بقول أبى

تمام ولبيد بن ربيعة وزيد بن جندب وحمزة بن بيض [٢٣٤] ... وغيرهم . وفى الجزء الثالث من الكتاب تحدث الجاحظ عن أقوال الزهاد من البصرة والكوفة واستشهد بأشعار أبى ذر العبد وجارية سليمان بن عبد الملك وبكلام الأعراب وعبد الله بن الزبعرى ومحمد بن يسير ومساور الوراق وأسماء بن خارجة وصالح المرى وأبى العتاهية... وغيرهم [٢٣٥] ومن هذه الأمثلة التى يكثر منها اقول أبى العتاهية : [٢٣٦].

سبحان ذى الملكوت آية ليلة   مخضت بوجه صباح يوم الموقف

لو أن عينا وهمتها نفسها ما   فى الفراق مصوراً لم تطرف

ومن المقبول أن يكثر الجاحظ من ذكر أبى العتاهية والزهاد المسلمين إلا أنه يضيف إلى الخليل بن أحمد بيتين يعبران عن الزهد [٢٣٧]. وقد يذكر أبياتاً لعنترة ابن شداد فى الزهد [٣٣٨] وكذلك السموأل بن عادياء [٢٣٩]، وهى أبيات قد تحسب من أبواب الحكمة عند النقاد ، والغريب أن كل هذه الأمثلة تسيطر عليها اختياراته المليئة بالصور الخيالية مما يدل على جماليتها وبلاغيتها فى نفسها.

ويذكر الجاحظ أيضاً أقوالاً للنوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء ومن على شاكلتهم والمجانين، ويستشهد بشعراء أمثال : حبيب بن أوس وعقيل بن علفة وأبى العتاهية وابن عبد القدوس وجرير والنجاشى الشاعر والأخطل والحارث بن ظالم ومخارق بن شهاب ...وغيرهم . ومن هذه الأمثلة استشهاد الجاحظ بقول عقيل بن علفة [٢٤٠]:

وللدهر أيام فكن فى لباسها   كلبسته يوماً أجد وأخلقا

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم وإن   كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

والجاحظ فى هذا الشاهد يركز على التدليل على أن كلام الحمقى ليس من الفصاحة خلال الاستشهاد بقول رجل عاقل وليس أحمق مدللاً. على أن البلاغة تستدعى البعد عن الحمق . وقد لجأ الجاحظ إلى ذلك لإظهار صورة مناقضة للبلاغة وهو مذهب عند المعتزلة فى إبراز الشىء وضده حتى تكتمل الصورة، والغريب أن الجاحظ قليلاً ما يأتى بشعر الحمقى، وهم مجهولون عنده.

وبهذا شرح الجاحظ مفهوم البلاغة وشروطها - في رأيه- واستشهد بكلام البلغاء وبكلام الحمقى والمجانين. وخدم ذلك كله من خلال الشاهد الشعرى الذى شكل مرآة كاشفة ومؤيدة وسلاحاً يدافع به عن آرائه، ويضرب به آراء الشعوبية والزنادقة وغيرهم. وقد كان هذا الشاهد سيلا تستدعيه الذاكرة، ويسهب فيه إسهاباً، فقد يستطرد ذاكرا شاهداً وراء شاهد، ويدعو شاهد شاهداً آخر ، وفى ذلك استشهد الجاحظ بقول أعرابى أراد أن يسافر فطلبت منه امرأته أن تكون معه ، فقال الأعرابى: (٢٤١).

إنك لو سافرت قد مَذِحْتِ وحكك الحنوان فانفشحت

وقلت هذا صوت ديك تحتى

وهذا الشاهد يستدعى شاهداً آخر ، فيذكره بقول عمر بن أبى ربيعة الذى يقول فى شبه هذا المعنى:

وأعجبها من عيشها ظل غرفة وريان ملتف الحدائق أخضر

ووالٍ كفاها كل شىء يهمها فليست لشىء آخر الليل تسهر

فالشاهد الشعرى كان مطية الجاحظ فى تبرير أفكاره ، ووسيلته فى إبراز مياراته على الحفظ والاستظهار.

وأما الناحية الثانية فالجاحظ يشرح ويفسر الأبيات كدليل على إظهار إبانتها فهو يشرح الألفاظ كما فى قول الشاعر أبى الحجناء فى شدة الصوت: (٢٤٢).

إنى إذا ما زبب الأشداق والتفَّ حولى النقع واللقلاق

ثبت الجنان مرجّم وداق

فيفسر لفظ "المرجم" بأنه الحاذق بالمراجمة بالحجارة، والوداق أى الذى يسيل الحجارة كالودق من المطر. والجاحظ فى هذا يسهم بشرحه للألفاظ فى إظهار المعنى وفى إظهار الصورة.

وقد يلجأ الجاحظ إلى شرح المعنى مثل شرحه لقول بشر بن أبى خازم في مجال الحديث عن فضل العِصِيِّ : (٢٤٣)

لله در بنى الحداء من نفر	وكل جار على جيرانه كَلِبُ
إذا غدوا وعصى الطلح أرجلهم	كما تنصب وسط البيعة الصلب

ويشرح الجاحظ هذا المعنى فيقول: إنما يعنى أنهم كانوا عرجاناً، فأرجلهم كعصى الطلح، وعصى الطلح معوجة. فالجاحظ لجأ هنا إلى شرح المعنى حتى يبين عن مقصده. وقد ارتبط هذا الشرح بشرح الصورة فى البيت، وهى صورة التشبيه ، وقد يلجأ الجاحظ أيضاً إلى بيان المناسبة، وهنا يبرز معرفته التاريخية بتاريخ العرب وأيامهم وعاداتهم، فمن ذلك أنه يذكر تقنع العرب فى القتال وعدم تقنع أبى سليط طريف بن تميم ، فقد كان من عادة فرسان العرب أن يتقنعوا ويضعوا القناع على وجوههم حتى يثبتوا أمام الفرسان فى المواسم والجموع والأسواق غير أن رجلاً يسمى أبا سليط طريف بن تميم كان لا يتقنّع، فأقبل خصمه حمصيصة الشيبانى يتأمله فأنشد طريف هذه الأبيات (٢٤٤) :

أو كلما وردت عكاظَ قبيلةٌ	بعثوا إلىَّ عريفَهم يتوسم
فتوسمونى إننى أنا ذاكمُ	شاكٍ سلاحى في الحوادث مُعْلَم
تحتى الأغر وفوق جلدى نثرة	زعف ترد السيف وهو مثَلَّم
ولكل بكرى إلى عداوة	وأبو ربيعة شانئ ومحلم

فالجاحظ قدم هذه الأبيات يذكر مناسبتها وأشار إلى ما يرتبط بها من عادة العرب، وهو فى ذلك يدل على أن الشاهد لابد أن يكون موضحاً ، إذا عز الإيضاح فوجب أن يوضح ما فيه من مناسبة أو معنى. ومن طرف خفىٍ يشير الجاحظ إلى ثقافته التاريخية الاجتماعية البعيدة.

وقد يلجأ إلى شرح الصور الخيالية فى الأبيات. ومن ذلك وصف شاعر مجهول للناقة فى قوله:(٢٤٥).

ويقول الجاحظ فى تفسير كلمة (خرقاء) – وهى استعارة تصريحية فى وصف الناقة بالمرأة – : (يصف سرعة نقل يديها ورجليها، أنها تشبه المرأة الخرقاء، وهى الخرقاء فى أمرها الطياشة) وهنا يلجأ الجاحظ إلى تفسير الصورة تقوية للشاهد فى أداء وظيفة الإفهام من ناحية ، وفى وظيفة البلاغة من ناحية أخرى.

وبهذا استطاع الجاحظ أن يقدم لنا وظيفة من وظائف اللغة هى الوظيفة البلاغية ، وجعل الشاهد الشعرى مرآة لها ودليلاً عليها. وفى رأيى أن الشاهد الشعرى قد يكون من طرف آخر هو الدافع إلى هذه الأفكار. والجاحظ لكى يفهم ويبلغ استعان بثقافته المختلفة اللغوية والتاريخية والاجتماعية وجعل شرحه مرآة لهذه الشواهد. ويمكن القول إن الشاهد الشعرى يمثل أداة محورية استطاع الجاحظ أن يحسن عرضها وتوظيفها كمرآة حاملة لفكره وثقافته ورؤاه فى البلاغة.

٣-الوظيفة التشويقية (الاتصالية / الانتباهية)

تنصب هذه الوظيفة على القناة الفيزيقية التى تربط بين المتكلم والسامع والتى تسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه كما يقول رومان جاكبسون (أى قناة فيزيقية وربط نفس بين المرسل والمرسل إليه، اتصال يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه) [٢٤٦].

وتقوم هذه الوظيفة بإثارة انتباه المتلقى حتى تقيم تواصلاً وتمده وتتأكد منه فتجعل المتلقى دائم الانتباه ومشتاقاً إلى سماع المتكلم. وقد أشار جاكبسون بقوله: (وهناك رسائل توظف فى الجوهر لإقامة التواصل وتمديده أو فصمه، وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل "قل" "أتسمعنى ؟" أو بالأسلوب الشكسبيرى "واستمع إلى " ومن الجانب الآخر من الخط " هم هم" إن هذا التشديد على الاتصال على الوظيفة الانتباهية) [٢٤٧]. والجاحظ ينتبه إلى هذه الوظيفة دون أن يدرس علم اللسانيات وهو يشير إليها فى صدد تداخل النقول الخاصة بالنساك والأعراب والنوكى حيث يجد نفسه مرغماً على تفسير هذا التداخل، فيفسره كاشفاً الوظيفة الانتباهية حيث يقول مبرراً التداخل بين النقول : (أن يداول مؤلفه نشاط

القارئ له ، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له، فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء ، ومن باب إلى باب، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن، ومن جمهور ذلك العلم) [٢٤٨].

إن الجاحظ فى هذه العبارة يحرص تمام الحرص على إثارة انتباه السامع وإبعاد الملل عنه من الإطالة التى تخرجه من الفهم إلى التعب والعناء ، فينتقل به بسرعة إلى نقول أخرى فى موضع آخر حفاظاً على نشاط القارئ، وإثارة لتشويقه. ولا يخجل الجاحظ من بيان طريقته وإظهارها فى كلمة احتيال، وأن هذا الاحتيال يتم بإخراج السامع من شيء إلى شيء ، ومن باب إلى باب. وقد صرح الجاحظ فى مكان آخر بأن الفكرة الواحدة أو الموضوع الواحد لا ينبغى أن يكون مجموعاً فى مكان واحد، وإنما ينبغى أن يقسم ويخرج فيه إلى باب آخر ثم يعود إلى الباب نفسه، وهكذا حيث يقوم الجاحظ فى تكملة كلام النوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء: (وأحببنا ألا يكون مجموعاً فى مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ والمستمع) [٢٤٩].

لقد خص الجاحظ فى كتاب البيان الحديث عن طوائف متعددة هم : البلغاء والمعلمون وأهل الأسجاع والخطب والنساك والقصاص واللحانون والنوكى وأهل العى والأعراب والمتكلمون والبلهاء والمجانين والموسوسين والجفاة. ولم يلجأ الجاحظ إلى ترتيب هذه الطبقات، وإنما داخل بينها على مدار الأجزاء الأربعة فى كتابه. ففى حين يذكر في الباب الأول أقوال المعلمين والبلغاء والأسجاع والخطب والنساك والقصاص والصوفية ، يعود ليكرر أمثلة أخرى من أقوال النساك والزهاد والخطباء فى الجزء الثالث. ويتحدث الجاحظ عن النوكى وأهل العى والأعراب فيشير إليهم فى الجزء الأول ثم ينقل عنهم فى الجزء الثانى ، ثم يعود لينقل كلامهم أيضا ونوادرهم فى الجزء الرابع • وهذا الخلط والاضطراب فى ترتيب هذه النقول يعود إلى أن الرجل قد أدرك أن القارئ قد ينتابه السأم والملل من جمع كلام الطائفة الواحدة فى مكان واحد فراح يفرقها فى مواضع مختلفة. وقد لعب الشاهد الشعرى على وجه الخصوص دوراً كبيراً فى تمرير هذه الوظيفة ، فالشاهد مطيته فى ذلك،

كما أن الجاحظ يحاول أن يشرح ويفسر المعانى والألفاظ ومناسبات الأبيات، بل يلجأ إلى ذكر هذه الأبيات فى داخل قصة ، مما يمعن أيضا فى توظيف الشاهد لكى يقوم بهذه الوظيفة الانتباهية خير قيام على طريقتين:

الأولى : أن يورد تحت كل طائفة نقولاً من كلامها ويفرق هذا الكلام فى كتابه.

الثانية : أن يشرح ويفسر الشاهد، أو يورده داخل قصة مثيرة حتى يكون أكثر إفادة وتشويقاً.

الطريقة الأولى:

لقد تحدث الجاحظ على سبيل المثال عن النساك والزهاد والصوفية فى الجزء الأول [٢٥٠] ، فذكر أسماءهم واستشهد لبعض القدماء بأبيات فى الحكمة من شعر جرير، ثم عاد فى الجزء الثالث فأخذ يتحدث عن نساك البصرة وزهاد الكوفة بتفصيل آخر متناولاً أشعار أبى العتاهية وصالح المر... وغيرهم ، وأكثر من هذه النقول ، ومنها على سبيل المثال قول أبى نواس الحسن بن هانئ فى أبيات له فى الزهد : [٢٥١].

كن من الله يكن لك	**واتق الله لعلك**
لا تكن إلا مُعَدًّا	**للمنايا فكأنك**
إن للموت لسهما	**واقعا دونك أو بك**
نحن نجرى فى أفانين	**سكون وتحرك**
فعلى الله توكل	**وبتقواه تمسك**

وهى أبيات جرت فى النصح والإرشاد والحث على التقوى والورع وإن صدرت من شاعر اتصف باللهو والمجون.

ومن الغريب أن الجاحظ يحشد فى كلام النساك أقوالاً في الحكمة، وكأنه يعنى من طرف خفى أن كل هذه الأقوال إنما هى للحكمة ، فلقد استشهد بقول الطرماح بن حكيم والحارث بن يزيد وسعد بن ربيعة بن مالك والخنساء، وهم

شعراء لم يدركوا عالم النسك والزهد الذى اشتهر فى العصر العباسى، عصر الجاحظ.

ومن بين الأمثلة على خلط الجاحظ وتفريقه لموضوعاته حديثه عن النوكى والحمقى ، فلقد أشار إليهم فى الجزء الأول (٢٥٢) ونقل بعضاً من أقوالهم وأقوال عنهم، ثم عاد ففسر المقصود بهم فى نهاية الجزء الأول، بل إنه ذكر بعض أسمائهم مثل: أبى حية وجعيفران وأريموس اليونانى(٢٥٣)، ثم عاد فى الجزء الثانى فذكرهم وذكر أقوالهم، وضم إليهم المجانين والموسوسين، وذكر شعراً للجعيفران الموسوس وأبى يس الحاسب وأبى حية النميرى، وأضاف إليهم أسماء من مجانين الكوفة والبصرة وبعضاً من كلام أهل العى (٢٥٤)، ثم عاد فى الجزء الرابع فذكرهم وأضاف إليهم أسماء أخرى مثل كلاب بن ربيعة ونعامة (بيهس) وابن ضحيلن الأزدى، وذكر أقوالاً أخرى عنهم من أقوال حبيب بن أوس وأبى عبيدة...وغيرهم (٢٥٥).

والجاحظ فى ذلك يحتال فى نقوله ولا يضعها فى مكان واحد، وإنما يفرقها فى مواضع شتى تشويقاً للسامع وإثارة لانتباهه وإبعاداً للسآمة والملل عنه ، ومن بين الأمثلة التى ساقها الجاحظ كنوع من الطرافة ما قصه عن جعيفران الموسوس الشاعر حيث يحكى أنه شهد رجلاً أعطاه درهما وقال له قل شعراً على الجيم ، فأنشد بقول : (٢٥٦)

عادنى الهم فاعتلج	**كل هم إلى فرج**
سل عنك الهموم بالـ	**كاس وبالراح تنفرج**

وهى أبيات ينقلها الجاحظ وتعبر عن طرافة ومناقضة، فالقائل سائل متسول غير أنه شاعر أديب يعرف حكم روى الأبيات وينشد على مثالها، كما يبدى لنا تناقضاً فى الحياة، فهو سائل وصاحب كأس. وهو يعرف تصاريف الأقدار ويشكو منها مع أنه سائل. وقد يقصد الجاحظ من ذلك أن مثل هؤلاء المجانين والحمقى يخرجون مثل هذه الدرر من الأقوال، ولذلك يستشهد فى موضع آخر بأقوال فى العى للمعيطى الذى يقول: (٢٥٧).

وأنزلنى طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت الذى لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجيـــة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وهى تبرز فلسفة حياتية يعيشها هؤلاء الحمقى فى حياتهم وقد شـــدت انتبـــاه الجاحظ ففهمها وبدوره أعاد إفهامها.

وتكشف هذه النقول بخلطها وتفريقها عن براعة عند الجـــاحظ فـــى طريقـــة عرضه التى تستند إلى غرض ووظيفة لغوية يمثل الشاهد أداتها وهـــى الوظيفـــة الانتباهية.

والطريقة الثانية حاول الجاحظ أن يوضح أمثلته بشرح مفرداتها أو مناسباتها أو قصتها ، فيورد الشاهد من خلال قصة ، ففى حديثه عن الزهاد يـــورد حديـــث جارية سليمان بن عبد الملك واستشهادها ببيتين من الشعر ورد سليمان عليها حيـــث يقول الجاحظ فى هذه القصة القصيرة:[٢٥٨] (وركب سليمان بن عبد الملك يوماً فـــى زى عجيب، فنظرت إليه جارية له، فقالت: إنك لمعنى ببيتى الشاعر. قال : ومـــا هما ؟ فأنشدته:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لابقاء للإنســـــان
ليس فيما بدا لنا منك عيب كان فى الناس غير أنك فان

قال: ويلك نعيت إلى نفسى

فالجاحظ فى بعض الأحيان مغرم بمثل هذا القصص الذى يرد فيـــه الشـــاهد وكأن الإطار القصصى شرح طيب لهذه الأبيات.

كما يورد الجاحظ قصة غنية الأعرابية التى لها ابن شـــديد الغرامـــة، كثـــير التفلت إلى الناس مع ضعف آسر، وأنه قد تعارك مع فتى من الأعراب، فقطع أنفه، فأخذت أمه دية أنفه ، فتحسن حالها بعد فقر مدقع، ثم تعارك مع أعرابـــى آخـــر، فقطع الأعرابى آذنه، فأخذت غنية دية أذنه مالاً فتحسن حالها أكثر، ثم تعارك مـــع ثالث فقطع شفته، فأخذت الدية فى شفته. وأصبح عندها إبل وغنم كثيرة مـــن ديـــة ابنها، فأنشدت أرجوزتها وذكرت ابنها الذى هو خير من العصا، وتقول فيها [٢٥٩]:

أحلف بالمروة يوما والصفا أنك خير من تفاريق العصا

والأمثلة على ذلك كثيرة يلجأ فيها الجاحظ إلى تأييد الشاهد بالقصة أو الأقصوصة. إن هذه الوظائف السابقة المرجعية والشعرية والانتباهية والاستطرادية التى أضفناها فى رأينا، وظائف تنطلق أصلاً من النص الأدبى بوصفه رسالة إبداعية موجهة من المرسل إلى المستقبل، أو من المتكلم إلى السامع والقارئ. والجاحظ يهتم بها بوصفها من وظائف البيان، والبيان لا يكون إلا فى الرسالة الأدبية نفسها ، وعلى ذلك فقد تنبه الجاحظ إلى هذه الوظائف من خلال تعامله مع النص الأدبى وتأثيره على المتلقى لأنه فى بداية القول لخص الجاحظ لنا عناصر هذه الرسالة فى قوله:

(لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأى شىء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع) (٢٦٠). فالجاحظ تنبه ببساطة إلى أن العملية الإبداعية التوصيلية تدور على طرفين وهما القائل والسامع وبمعنى حديث: المبدع والمتلقى وأن ما بينهما هو كلام أو رسالة أو نص أدبى. وأن الغاية من النص أن يفهم وأن يبين، ومن الغاية خرجت هذه الوظائف الخاصة : الإخبار والبلاغة والتشويق والاستطراد، ومن الغريب أن الجاحظ لم يدرك الوظيفة التى تتعلق بالمبدع، فهو لا يتحدث عن المبدع كثيراً إلا فى مجال الحديث عن تعريفه بالقائل أو القصد من قوله أو شرح شعره، ولا يلجأ الجاحظ إلى الحديث عن الانفعالات الذاتية والوجدانية التى يعالجها ويظهرها الشاعر، ومن الغريب أكثر أن الجاحظ تنبه إلى الوظيفة الخاصة بالسامع وهى الإفهام وهى وظيفة تعرف فى عرف اللسانيين بالوظيفة الإفهامية (٢٦١).

٤-الوظيفة الإفهامية:

وهى تركز على عنصر المخاطب وتقصد إفهام السامع ما يقوله المتكلم، والغريب أن الجاحظ مشغول بهذه الوظيفة، بل تكاد تكون الكتاب نفسه، فكلمة (البيان) تلخيص لكلمة (الإفهام)، بل إن الجاحظ يذكر هذا المصطلح (الإفهام) فيما ذكرناه سابقاً ويقرنه بالفهم. والجاحظ فى حقيقة الأمر يتصور نفسه مبدعاً يقدم مادة

تعليمية يقصد بها إفهام قارئه . وعلى هذا الأساس فإن تقاسيم الكتاب من حيث الموضوع تخضع برمتها لوظيفة الإفهام، فقد وقف الكاتب أمام مفهومين: المفهوم الأول هو البيان، والمفهوم الثانى هو البلاغة فعرفهما، وأبان شروطهما ، ثم أضاف إلى الكتاب نماذج محتذاة من عيون الأدب العربى تمثل قمة البيان العربى من كلام البلغاء والأدباء وغيرهم، كل ذلك بقصد الإفهام. وكان الشاهد الشعرى- ونحن فى غنى عن أعادة القول فيه هنا – وسيلته الأساسية، ومرآته الحقيقية التى تظهر عنصر الإفهام ، ومن اللافت للنظر أنه أكد هذا العنصر بشروحه للألفاظ والمناسبات والمعانى والقصص التى ترتبط بهذه الشواهد، مما يبين أيضا أنه يقصد هذه الوظيفة وهى الإفهام فى كل ما يكتب، وكل ما يقول فى ثنايا الكتاب.

لقد استطاع الجاحظ أن يتعامل مع الشاهد الشعرى من منطلقين كبيرين فى قضية البيان ، يتمثل المنطلق الأول فى خدمة الشاهد فى قضية البيان بشكل مباشر وهو أن يكون مرآة شارحة لأفكار الجاحظ عن البيان أو البلاغة، يظهر فيه صدق مقولاته الفكرية وصدق دفاعاته ويؤيد به آراءه، فيكون الشاهد الشعرى سيلاً لأفكاره. وقد استغرقت هذه الوظيفة معظم شواهد الجاحظ.

وأما المنطلق الثانى فيتعلق بخدمة قدرته هو على الإبانة، فالجاحظ يورد الشاهد الشعرى فى إطار عرض رأيه، ثم يتكشف له بعد ذلك أن الشاهد الشعرى عاجز عن الإبانة مما يوحى ضمناً أن الجاحظ نفسه عاجز عن الإبانة، فيضطر الجاحظ نفسه إلى شرح هذا الشاهد بعد ذلك بمختلف الأساليب فيفسر ألفاظه أو معانيه أو يذكر مناسبته أو يستنتج منه رأيا أو يميط اللثام عن صوره الخيالية حتى يكون مفهوماً. والجاحظ فى هذا يبرز وظيفة آخرى عنده أو قل عدة وظائف ، فهو قد يضطر إلى العروج إلى معلومة تاريخية يفسر بها البيت، أو يرجع إلى ذكر الأنساب، أو يتحدث عن الملوك والأمراء أو يذكر عادات العرب وكل ذلك هو إضافة إخبارية أو اجتماعية أو سياسية أو فكرية ذات مدلولات كثيرة منها ترتد إلى الجاحظ نفسه فى سعة معلوماته أو ترتد إلى طريقته فى الإسهاب والبسط أو قد

ترتد إلى طبقة المجتمع نفسه التى يتعامل معها الجاحظ هو الآخر بحذر شديد، أو قد ترتد إلى وظيفة الجاحظ فى الدفاع عن العروبة والإسلام ضد الشعوبية والزندقة.

لقد توصل الجاحظ فى بيانه وتبيينه إلى أن للشاهد الشعرى عدة وظائف تخص أطراف العملية الإبداعية: المبدع والمتلقى والنص، وقد تنوعت هذه الوظائف إلى:

١-**التوصيلة الإخبارية**: التى تقوم بتوصيل المعلومة أو الفكر وتخص الإبانة عن المرجع وهى تتمثل فيما يشير إليه الجاحظ بضرورة التنبيه والحفظ والتعلم وتتحقق عنده بطريقتين.

الأولى فى التعوذ مما يصيب الإبانة من عى وحصر ...

والثانية بما يقوم به من شرح للمفردات والمعانى وذكر المناسبة...

٢-**الوظيفة البلاغية**: أى الشعرية وتتمثل عنده فيما يوجد فى النص من جماليات فى التراكيب والتصورات والصياغة الشكلية، وما يتعلق بذلك من ذكر البلاغة وتعريفها وأقوال العلماء فيها، وذكر نماذج من أقوال الأدباء وأهل المعرفة والنساك. والشاهد الشعرى فى كل ذلك يبرز هذه الخصائص ويشرح آراء الجاحظ فى خصائص الأساليب البلاغية مستعيناً بثقافته اللغوية والتاريخية والاجتماعية.

٣-**الوظيفة التشويقية**: وتتعلق بالقناة الاتصالية بين المتكلم والسامع وقدرته على استخدام وسائل تثير انتباه السامع وتبعد عنه السأم والملل، وتحافظ على نشاطه وتشوقه، ومن هذه الوسائل عرض الفكرة الواحدة فى أبواب متعددة وعدم قصر وجودها على باب واحد. كما يقوم الجاحظ بتأكيد كلامه بأمثلة من كلام الخطباء والنساك والقصاص والأعراب مستعينا فى ذلك بالشاهد الشعرى وذلك بطريقتين:

الأولى: توزيع شواهده وحديثه عن النساك والزهاد وأهل البيان... وغيرهم فى الجزء الأول، ثم الثالث، والإكثار من شواهدهم.

والثانية : الاستعانة بشرح مفردات ومناسبات الشواهد والتعليق عليها.

٤-**الوظيفة الإفهامية** : وهى التى تركز على عنصر المخاطب بقصد إفهامه وهو يتعامل مع الشاعر فى هذه الوظيفة من منطلقين:

الأول: خدمة الشاهد لأفكاره البيانية والبلاغية.

والثانية: شرح الشواهد والتعليق عليها وعلى ما حولها. وهو ما يدور حول مسائل كثيرة منها دفاعه عن العروبة والإسلام ضد الشعوبية.

* *

الخاتمة ونتائج البحث

حاولت هذه الدراسة أن تتبع الشاهد الشعرى فى كتابات الجاحظ مركزة على كتاب "البيان والتبيين" من ثلاثة أوجه تتعلق بالمصادر التى استقى منها شواهده الشعرية هذه، وكيفية تناوله لها أو بالأحرى منهجه فى عرض هذه الشواهد، ثم توظيفه لها، وما أضافته تلك الشواهد إلى موضوعاته المختلفة.

وقد استطاع الجاحظ أن يحصى فى ذاكرته محصولاً ضخماً للشعر العربى امتد عبر عصور الجاهلية وصدر الإسلام والأموى والعباسى حتى عصره الذى امتد إلى القرن الثالث الهجرى. وقد وعى ذلك فهماً ودراية جعله يستعين بهذا المحصول على وضع كتابه البيان . وقد أرجعت الدراسة هذه المصادر إلى:

أ-مصادر مدونة مثل:

- دواوين القبائل خاصة ديوان هذيل.
- دواوين الشعراء الذين ظهرت لهم دواوين جمعت فى عصورهم أو فى عصر التدوين الذى عاش الجاحظ فيه.
- المختارات الشعرية مثل المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب وحماسة أبى تمام.

ب-مصادر مسموعة:

وهى النصوص الشعرية التى سمعها الجاحظ من المحيطين به كالأصمعى وابن الأعرابى وأبى عبيدة الذين نقلوها بالرواية عن أصحابها.

وقد اتبع الجاحظ طرقا مختلفة فى عرض هذه المادة الشعرية فلجأ إلى وضع نظرية كاملة فى الكتابة البيانية تتناول التعريف والتفضيل والاستشهاد، وفى الاستشهاد لجأ الشاعر إلى الاستشهاد بالنص الشعرى بوصفه دليلاً على المادة التنظيرية دون تعليق، أو إيراد النص الشعرى ثم التعليق عليه، وهنا تطرق الجاحظ إلى الحديث عن عدة موضوعات حول النص الشعرى أو ما يعرف بتاريخ الأدب . فقد تطرق

الجاحظ إلى شرح مفردات النص شرحاً لغوياً أو تطرق إلى تفسير المظاهر الاجتماعية والتاريخية التى تحيط بالنص أو الحديث عن ظروف تاريخية خاصة بالنص الشعرى أو التعليق النقدى على النص الشعرى تعليقاً يمس الفصاحة أو البلاغة أو الموازنة بين شاعرين أو تناول المناسبة الخاصة بالنص أو الترجمة للشاعر. وقد يلجأ إلى تأصيل النص الشعرى للتعرف على أصل البيت وقائله الأول وما يتعلق به من سرقات أدبية أو يتحدث عن رواية النص وسنده أى توثيقه، وهى مظاهر على درجة كبيرة من الأهمية فى دراسة الأدب أو تاريخ الأدب.

وفى توظيف النص الشعرى كشف البحث أن الجاحظ قام باستشفاف الوظائف التى يقوم بها الشاهد الشعرى داخل أية نظرية أدبية أو جمالية، وهو بذلك لا يختلف عن الأسلوبيين المعاصرين، فقد كشف الجاحظ عن الوظيفة الإخبارية للنص الأدبى التى تتعلق بمنشئ النص والتى تبغى إيصال معلومة او تعليم وتنبيه ، مما يعد وظيفة تعليمية إفهامية ، كما تساعد الجاحظ فى إيصال أفكاره فى عرضه للكتاب من ناحية أخرى كما كشف الجاحظ عن الوظيفة البلاغية التى تكشف ما للنص الشعرى من إبداع جمالى فى صوغ الكلام وتراكيبه وتصوراته، وهى تتعلق بالنص الشعرى نفسه باعتباره رسالة، كما أظهر الجاحظ الوظيفة التشويقية التى ترتبط بالقناة التى تربط بين المتكلم والسامع، وقد أظهرها الجاحظ فى التنقل من عرض شواهد الموضوع الواحد فى أكثر من جانب مع التناوب بينها حتى لا يمل السامع، ويحافظ الجاحظ على إثارة تشوقه عبر الكتاب. وأخيراً أظهر الجاحظ الوظيفة الإفهامية وهى التى تتعلق بالمتلقى وطريقته فى فهم النص ٠ ويعنى ذلك أن الجاحظ استطاع أن يبرز ما للنص الشعرى من وظائف أسلوبية تغطى عناصر الاتصال بين المبدع والمتلقى والرسالة الإبداعية والقناة الرابطة بينهما وبذلك يكون الجاحظ قد قدم مفهوماً جديداً للنص الشعرى كشاهد ذى جوانب متعددة إلى جانب كونه شاهداً.

وقد كشف البحث عن نتائج عديدة تتعلق بالنص الشعرى عند الجاحظ منها:

١-أن النص الشعرى مادة واسعة من حيث الامتداد الزمانى والمكانى.

٢-أن النص الشعرى ذو خصائص كثيرة منها الخصيصة اللغوية والإبداعية والجمالية.

٣-أن النص الشعرى مادة طيعة تحتاج لمن يجيد توظيفها فى مجالات الأدب أو النقد أو غيرها.

٤-أن الجاحظ كان على وعى تام بالجوانب المتعددة التى يطرحها النص الشعرى داخل الكتاب من توصيل وإفهام وإبداع.

٥-أن الجاحظ أيضاً كان على وعى تام بكيفية عرض هذا النص بحيث لا يبدو كمادة مثقلة على القارئ، وإنما يبدو كمادة مشوقة تجذب القارئ إلى قراءتها دوما، وهو ما نلحظه حتى الآن من تداول كتاب البيان والتبيين بين الناس.

٦-والباحث فى علاقة النص الشعرى بنظرية الكتاب قد يحار فى علاقاتهما أيهما دفع بصاحبه: النص أم النظرية ؟ وإن كان يميل إلى أن النص هو الدافع بشكل ضمنى.

وأخيراً تدعو الدراسة إلى التسلح بالمناهج الجديدة قبل تناول قضية هامة كقضية علاقة الشاهد بمجمل الكتاب فى كثير من الدراسات الأدبية.

* *

الهوامش

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠-٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة مكتبة الخانجى ١٩٧٥ ج١ ص٧٥-٧٦.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٧٣.

(٣) نفسه ج١ ص٧٥.

(٤) نورى جعفر: كتابات بين الجاحظ وجورج بارنارد شو وجائزة نوبل، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٩٠.

(٥) محيى الدين اللاذقانى: آباء الحداثة العربية- مدخل إلى عوالم الجاحظ والحلاج والتوحيدى، القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

(٦) محمد الصغير البنانى : النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين. بيروت، دار الحداثة ١٩٨٦ م ط أولى

(٧) المرجع السابق ص ٢١-٢٢.

(٨) شوقى ضيف: العصر الجاهلى ، القاهرة دار المعارف ص ١٧٦ وما بعدها.

(٩) عبد الحميد محمود المعينى: شعر تميم فى الجاهلية جمع وتحقيق ودراسة- رسالة دكتوراه- كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٩.

(١٠) حسن عيسى أبو ياسين: شعر همدان فى الجاهلية والإسلام- جمع وتحقيق ودراسة- رسالة دكتوراه - كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

(١١) عبد العزيز محمد الفيصل : شعر شعراء بنى قشير بالجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموى - جمع وتحقيق ودراسة- رسالة ماجستير- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة د.ت.

(١٢) عبد العزيز محمد الفيصل : شعر بنى عقيل فى الجاهلية والإسلام- جمع وتحقيق ودراسة- رسالة دكتوراه- كلية دار العلوم - جامعة القاهرة د.ت.

(١٣) وفاء فهمى محمود: شعر طيئ فى الجاهلية والإسلام - جمع وتحقيق ودراسة -د.ت، د.ن.

(١٤) سلامة عبد الله السويدى: شعر قبيلة ذبيان فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة - رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٧م.

(١٥) ديوان بنى بكر فى الجاهلية جمع وشرح وتوثيق ودراسة- القاهرة، دار الزهراء ١٩٨٩م.

(١٦) شعراء ثقيف فى العصر الأموى: جمع وتحقيق ودراسة- النادى الأدبى بالسعودية، د.ت.

(١٧) إبراهيم عزاز إبراهيم: شعر عبس فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة- رسالة ماجستير – كلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٧٥م.

(١٨) عثمان محمد عثمان: شعر مزينة فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة- رسالة ماجستير – كلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٨٩م.

(١٩) أيمن محمد سيدان: شعر تغلب فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة- رسالة ماجستير- كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٩١م.

(٢٠) البيان والتبيين ج١ ص ٢٧٧.

(٢١) المرجع السابق ١٧/١.

(٢٢) نفسه ١/١٦-١٩.

(٢٣) نفسه ١٥٤/١.

(٢٤) نفسه ١/١٥٤-١٥٥.

(٢٥) السكرى (الحسن بن الحسين، ت١٧٥هـ: ديوان الهذليين، تصحيح أحمد الزينى ، القاهرة دار الكتب المصرية ١٩٩٥م.ج٢ -٣ أجزاء.

(٢٦) البيان والتبيين ٣٢٧/٣.

(٢٧) ديوان الهذليين ٢٤٤/٢.

(٢٨) البيان والتبيين ١/١٥٦-١٨٩-١٣٢،٢/١٠-١٧٧-٣١٢-٣٥٣،٣/٨٠-٢٥٦-٢٦١،٣/٥٣-٨٤.

(٢٩) البيان والتبيين ج١/١٨٠-٣/٧-٢١-٧١-٩٣-٣٢٩،٤/٤٠-٦٧.

(٣٠) المرجع السابق ١/١٠٧-٢٣١،٣/٩٩-٣٣٠.

(٣١) نفسه ٣/٤٤-٨٤-٣١٨.

(٣٢) نفسه ٢/٤٢-١٠٦،٣/٧-١٣٠

(٣٣) نفسه ٢٣٤/١،٣/٨٣

(٣٤) نفسه ١/١٥٦-١٥٧-٢٢٨، ٢/١٧٨-١٩٥-٢٤٧ - ٢٦٨،٤/٨٣-٨٤ .

(٣٥) نفسه ١/١١٠-٢٠٤-٢٠٧-٢٤٠-٣٥٢،٢/١٢-١٣-٢٥٨، ٣/١٢٤، ٤/٨٣-٨٤.

(٣٦) نفسه ٢/ ٢٨٨ .

(٣٧) نفسه ١/١٠ – ٣٣١ ، ٢/٢٨- ١٤٥، ٣/٣٠٧ ، ٤/٧٩.

(٣٨) نفسه ج١ ص١٢٤، ٢/١٨٣، ٣/٣٢٠ .

(٣٩) ١٩٧/١.

(٤٠) نفسه ص/٢٣٦، ٤/٩٧.

(٤١) نفسه ٣/٢٢٤.

(٤٢) نفسه ١٥٦/١

(٤٣) نفسه ٥٣/٤.

(٤٤) نفسه ١٠٠/١- ١٢٨ -٢٠٦ ، ١٣/٢ - ٤٢.

(٤٥) نفســـــه ٦٣/١ - ١٦٩ -٢٤٠ - ٢٧٣- ٣٣٠ - ٣٦٠، ٣٢٥/٢ ، ٢٤٧/٣- ٢٦٧ - ٣٦١، ٥٨/٤- ٦٨

(٤٦) نفســه ٦٧/١- ٢٠٤ - ٢٠٦- ٢٤ - ٣١٥ - ٣٧١ ، ج٢ ص١٣ - ٢٩ -١٢٧ - ٢٩٥ - ٣١٨ ، ٨/٣ - ٨٠ - ١١٦- ١٣١، ٤/ ٣٨.

(٤٧) نفسه ١٢٢/٣.

(٤٨) نفسه ٧١/١.

(٤٩) نفسه ٢٨١/١، ٢٥١/٢ - ٢٧٧ ، ٣/ ٦٨- ٨٠ -٨٣ -٩٣ ، ٣٤/٤.

(٥٠) نفســـه ١٠٩/١- ١٨٩- ٢٦٥- ٢٦٦ -٢٦٧- ٣٦٥- ٣٧١- ٣٧٢ -، ج٢ ص١٦٩- ١٧٠- ١٧٢ -١٨٣- ١٨٧، ٨/٣ -٩ -٨٣، ٤/ ٨٤.

(٥١) نفسه ٢٠٧/١.

(٥٢) نفسه ١٥١/١، ٦١/٣- ٧٠-٢١ .

(٥٣) نفسه ١٩٣/٢، ٣/ ٢٥ .

(٥٤) نفسه ٣٣٨/٣.

(٥٥) نفســـه ٥٣/١-٥٦-٥٩-١٩٨- ٢٠٢ -٢١١- ٢٣٧ -٢٥٤-٢٥٦-٢٧٤-٣٠٠-٣١٥-٣٩٨، ٤٣/٢-٦٥-٧٢-٧٦-٨٨-٥٣-١١٥-١٣٥-١٤٣-١٤٤-١٤٩-١٥٦-١٧٦-١٨٨-١٩٣-١٩٦-١٩٩-٢٠٠-٢٣٧-٢٨٦-٢٩٢-٣٠٢-٣٤٤-٣٦٤، ٩٨/٣-١٠٥-٢٠٦-٣٣٦، ٦٣/٤-٧٠-٧٩.

(٥٦) نفسه ٣٦٠/١، ٣٢٥/٢، ٥٨/٤ وهو بالديوان ص ٢٠٤.

(٥٧) نفسه ٣٦٠/١.

(٥٨) نفســه ٧١/١.

(٥٩) سحيم عبد بنى الحسحاس ت ٤٠هـ : ديوان سحيم صنعة نفطويه لأبى عبد الله إبراهيم بن عرفة الأزدى، تحقيق عبد العزيز الميمنى، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٥٠، ص١٧.

(٦٠) البيان والتبييـــن ٦٣/١-١٥٨-١٧٢-٢٧٠-٢٧٩-٣٤٨، ١٨٢/٢-٢٧٣، ج٤ ص ٣٧-٨٣.

(٦١) نفســــــه ٧٣/١-١٦٨-١٩٦-١٩٨-٢٠٩-٢٤٦-٣٠٥-٣٢١-٣٢٩-٣٣٦- ٣٧٣-٣٩٨، ٦٩/٢-٨٠-١١٧-١٨١-١٨٩-٢١٣-٢٥٠-٢٧٣-٣١٢-٣٥٢، ١٠/٣-٦٢-٧٩-٨٣-١٦٥-٢٢٢-٢٤٨-٢٦١، ٣٥/٤-٣٦-٦٦-٨٣-٨٤.

(٦٢) نفســـه ١/١٢٩-١٣٠-١٧٢-١٨٩-١٩٦-٢٠٨-٢٠٩-٣٢١-٣٢٨، ٢/١١٧-١٨١-١٨٩-١٩٣-٢٣٠-٢٣٧-٢٤٣-٢٧٣-٢٨٤-٣١٢-٣٥٠، ٣/١٦-٣٨-٦١-٨٣-٩١-١٠٣-١٠٦-٢٠٨-٢١٤-٢٢٠-٢٤-٢٥٩-٢٩٩-٣٢٦-٣٦٣، ٤/٨٣-٨٤.

(٦٣) نفسه ١/٤٥-٢٠٤-٣٧٤، ٣/١٠-١١-٥٤-٢٥٣، ٤/٨٤.

(٦٤) نفسه ١/١٩٧، ٢/١٩٥-٢٤١-٢٥١، ٣/٩-١٠٩-١١٢-٢٤٥-٢٥٣، ٣/٦٧.

(٦٥) نفسه ٣/١٥٠-٣١٨.

(٦٦) نفسه ٤/٢٢.

(٦٧) نفسه ١/٢٢٣.

(٦٨) نفسه ١/١٩٨، ٢/١٨٣.

(٦٩) نفسه ١/١٣٩-١٤٨-١٢٤، ٢/٧١-٢٧٤، ٤/٨٤.

(٧٠) نفسه ١/٣٧٢- ٢/٣٥٣، ٣/٩-٢٣١-٢٣٧-٢٣٨.

(٧١) نفسه ٣/٣٧.

(٧٢) نفسه ١/٤٦- ٣٧٨، ٢/٢٧٤-٣٢٣، ٣/٥٠-٢٠٠-٣٤١، ٤/٨٤.

(٧٣) نفســـه ١/٤٥-٤٦-٥٥-١٣٤-٢٠٧-٢٥١-٢٨٢-٣٧٠، ٢/١٦٨-٢٢٤-٢٣٩،٣/٨-١١٧-٢٠٤-٢٤٦-٢٤٧-٢٦٩-٣٥٧-٣٦٥، ٢/٨٤.

(٧٤) نفسه ٣/٢٠١-٢٦٥-٣٦١.

(٧٥) نفسه ٢/٢٨٨، ٣/٣٦١.

(٧٦) نفسه ٢/٢٦٤، ٣/٢٤٤.

(٧٧) نفسه١/١٤٩- ٢٣١-٣٢٢، ٤/٥١.

(٧٨) نفسه ١/٢٣١، ٣/٣٥٨ .

(٧٩) نفسه ١/٢٧٩.

(٨٠) نفسه ١/١٩٨-٢٤٦، ٢/٣٤٧.

(٨١) جرير: جرير بن عطية الطفى ت ١١٠هـ : ديوان جرير ، تحقيق نعمان محمد أميـــن ، القاهرة دار المعارف ١٩٦٦، جزءان فى مجلد.

(٨٢) نفسه ١/٢٢٣.

(٨٣) جميل بن معمر: ديوان جميل شاعر الحب العذرى: تحقيق حسين نصار، القاهرة مكتبـــة مصر ١٩٧٩م.

(٨٤) نفسه ١/٥١-١١١-١٦٨-٢٢٤، ٢/٣٣٢، ٣/٢٠٥ ـ٢٦١-٣٧٢.

(٨٥) نفسه١/١٢٠-٢٠٦، ٢/٧٤-١٤٠، ٣/٧١، ٤/٢٢.

(٨٦) نفسه٢/١٧١، ٣/٢٣٧،٤/٨٤.

(٨٧) نفســـــــه ١/٤-١٦-٢٤-٢٥-٢٧، ٣/٣٢-٤٩-٥١-٦٨-١٢٤-٢٢٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٩٤، ٢/١٥٥-١٨٤-٢٢٣-٢٥٩-٣١٤، ٣/٣٧-١١٢-١١٦-١٩٧-٢٥٢، ٤/٤٩-٥٦-٦١-٦٨-٨٤-٩٩.

(٨٨) نفسه ١/٦٣، ٣/٣٥٥.

(٨٩) نفسه٢/٣٦٢، ٤/٢٣.

(٩٠) نفســـــه ١/١٤١ ، ٢/٧٩ – ١٨٤-٢٢٨ ، ٣/٣١ – ١٨٢ – ١٩٨ – ١٩٩ – ٢٤٧ – ٣٥٤ –٣٥٦، ٤/٧٥.

(٩١) نفسه ٣/١٢٣.

(٩٢) نفسه ٢/١٥٧-٣٠٤.

(٩٣) نفسه ١/٣١-٣٢-٤٥-٥١-٣٤٢، ٢/٣٦٣،٣/٢٣٨، ٤/٤٨-٨٥.

(٩٤) نفســه ١/٥٠-١١٥-١٥٤-١٩٧-٤٠٧، ٢/٧٦، ٣/٤١-٨٢-١٢١-١٨٠-١٨٣-١٨٤-١٩٧-٢٥٧، ٤/٢١.

(٩٥) نفســـه ١/٥٠-٥١-١١٥-١٢٠-١٥٤-١٩٧-٢٢٠-٢٢١-١٤١-٣٣٣، ٣/٤٠-٣٥٣، ٤/٥٦.

(٩٦) نفسه ١/٤١-٥٧-٦٨-٩٦-٩٧-١٢٩-١٣٢-١٥٧-١٥٩-١٩٤-٣١٣،٢/١٦٢-١٧٩-٢٨٠-٣٠٥-٣٥٧، ٣/٤٩-١٤٩-١٦٥-١٧٣،٤/٢٧-٦٧.

(٩٧) نفسه ١/٢٦٣، ٢/١٨٧، ٣/٦٦-٢٦٣-٣١١.

(٩٨) نفسه ١/٥٠، ٣/٢٥١.

(٩٩) نفسه١/١١١-١١٢، ٢/٢١٧-٣٥٧.

(١٠٠) نفسه ٣/٣٥٥.

(١٠١) مروان بن أبى حفصة (١٠٥- ١٨٢هـ) شعر مروان بن أبى حفصة : جمعه وحققه وقدم له: حسين عطوان، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٢ م . ص ١٠٣.

(١٠٢) المفضل الضبى: المفضل بن محمد بن على الضبى: المفضليات ، تحقيق وشرح محمود شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة، دار المعارف ١٩٩٣م.

(١٠٣) الأصمعى: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت ٢١٦هـ) الأصمعيات: تحقيق وشرح محمود شاكر ، عبد السلام محمد هارون، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩م.

(١٠٤) أبو زيد القرشى: أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى : جمهرة أشعار العرب، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة، دار نهضة مصر ١٩٦٧م.

(١٠٥) أبو تمام: حبيب بن أوس الطائى: تحقيق عبد المنعم أحمد صـالح : الهيئـة العامـة لقصور الثقافة ١٩٩٦م.

(١٠٦) البحترى: الوليد بن عبادة ت ٢٨٤هـ : ديوان الحماسة بعنايـة كمـال مصطفـى – المكتب التجارى، القاهرة ١٩٢٩م، بيروت ، دار الكتاب العربى ١٩٦٧م.

(١٠٧) ابن سلام الجمحى (محمد بن سلام) ت ٢٣١هـ : طبقات فحول الشـعراء، تحقيـق محمود شاكر ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٧٤م.

(١٠٨) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦هـ : الشعر والشعراء: تحقيـق أحمـد محمد شاكر، القاهرة دار الحديث ١٩٩٦م.

(١٠٩) المبرد: محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ: الكامل : تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم والسـيد شحاتة، القاهرة مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦م.

(١١٠) التبريزى (محمد بن عبد الله الخطيب) ت ٧٤١هـ : شرح اختيارات المفضـل بـن محمد الضبى تحقيق فخر الدين قباوة، دمشق، مجمع اللغة العربيـة ١٩٦٨-١٩٧٢م ٤أجزاء ..

(١١١) البيان والتبيين ١/٢١٤-٣٧٥، ٢/١٦٣-٢٨١-٣٠٨، ٣ص ١٠١-٣٣٢.

(١١٢) نفسه ١/١٦٨.

(١١٣) الأصمعيات ص٩٦.

(١١٤) البيان والتبيين ٣/٣٤٦.

(١١٥) الأصمعيات ٦١/.

(١١٦) جمهرة أشعار العرب ص ٩٧-٩٩.

(١١٧) البيان والتبيين ٣/٩٦.

(١١٨) جمهرة أشعار العرب ص ٧٢٩

(١١٩) البيان والتبيين ١/١٧٦.

(١٢٠) جمهرة أشعار العرب ٥٨٦١.

(١٢١) حماسة أبى تمام ص ٢٤.

(١٢٢) التبريزى ٧٤١هـ : شرح أشعار الحماسة التى اختارها من أشعار العرب لأبى تمـام. وتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة المكتبة التجاريـة الكـبرى، مطبعـة حجازى ١٩٣٨، ٤ أجزاء.

(١٢٣) البيان والتبيين ٣/٢٦.

(١٢٤) حماسة أبى تمام ١/٤١.

(١٢٥) البيان والتبيين ١/٩-٢٣-٣٧-٣٩-٦٥-٩٩-١٠٦-١٠٩-١٧٣-١٩٩-٢٠٢-٢٠٦-
٢٤٣-٢٧٩-٣٠٤-٣٢١-٣٤٩-٣٧٩، ٢/٩-١٣-٦٨-٧١-٨١-٩٠-١٠٠-١١٦-
١٥٧-١٦١-١٦٦-٢٠٢-٢٠٦-٢١٨-٢٢١-٢٦٦-٢٨٣-٢٨٩-٣٠٤-٣١٨-
٣١٩، ٣/٢٤-٦١-٧٩-٨٥-١٢٢-١٦١-١٦٢-١٧٥-٢٢٥-٢٥٣-٢٦٢-٢٦٣-
٢٦٩-٢٧٧-٣٢٠-٣٤٩، ٤/٢٣-٢٧-٦٧-٧٢-٧٦-٧٧-٩٠.

(١٢٦) نفسه ١/٣٨-٧١-١٠٨-١٢١-١٢٨-١٣٢-١٧٢-١٨٨-٢٠٤-٢١٥-٢٦٣-٣٠٨-
٣٢١-٣٤٧-٣٨٢-٢٩١، ٢/١٣-٥٠-٥١-٧٩-٨٢-٨٧-٩٠-١٠٦-١٥٩-٢١٤-
٢٢٣-٢٦٨-٢٧٩-٢٨٤، ٣/٩-٩١-١٦٠-٢٦٥-٢٩٠-٣٠٣-٣٣٣-٤٦٦، ٤/٢٣-
٢٤-٣٤-٣٥-٣٨-٦٢-٨٣-٨٦.

(١٢٧) نفسه ١/٤١-٥٧-٦٨-٩٦-٩٧-١٢٩-١٣٢-١٥٧-١٥٩-١٩٤-٣١٣، ٢/١٦٢-
١٧٩-٢٨٠-٣٠٥-٣٥٧، ٣/٤٩-١٤٩-١٦٥-١٧٣، ٤/٢٧-٦٧.

(١٢٨) نفسه ١/٣٨-١٠٣، ٢/٢١١-٢٣٢-٢٥٦، ٤/١١-١٢.

(١٢٩) نفسه ١/٢٢.

(١٣٠) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيوت، دار الجيل ١٩٩١م ، ط أولى ج٥ ص ٤٢٩.

(١٣١) ابن منظور : لسان العرب ، القاهرة، القاهرة، دار المعارف د.ت.

(١٣٢) البيان والتبيين ج٣ ص ٩١.

(١٣٣) لسان العرب ص ١٠٩٠.

(١٣٤) البيان والتبيين ١/٢٣.

(١٣٥) نفسه ١/٤١.

(١٣٦) نفسه ١/٤١.

(١٣٧) البيان والتبيين ج١ من ص ٢٣ حتى ص ٣٠.

(١٣٨) أنظر السابق ص ٧٨ وص ٧٩.

(١٣٩) انظر السابق من ص ١٦٦ حتى ص ١٦٨.

(١٤٠) البيان والتبيين ج١ من ص ١٧٦ وما بعدها.

(١٤١) البيان والتبيين من ص ٤٢ – حتى ٢٤٧، والأبيات ١/ ٢٤٥.

(١٤٢) انظر فى ذلك البيان والتبيين جزء ٣ من ص ٧ حتى ص ١١ ، و ص ١٥، ومن ص ١٩ حتى ص ٢٣، ومن ص ٣٦ حتى ٣٧ ، ومن ص ٥٨ حتى ٦٤ ، ومن ص ٦٩ حتى ص ٩١، و ص ٩٤ و ص ٩٧... حتى ص ١٢٤.

(١٤٣) البيان والتبيين ج٣ من ص ٦٩ حتى ص ٧٤.

(١٤٤) ١٠/١.

(١٤٥) نفسه ١٠/١.

(١٤٦) نفسه ١٠/١.

(١٤٧) نفسه ١١/١.

(١٤٨) نفسه ١١/١.

(١٤٩) نفسه ٤٠/١.

(١٥٠) نفسه ٤٠/١.

(١٥١) على سبيل المثال ١/٣-٤-١١-١٢-١٥-١٦-٢٣.

(١٥٢) البيان والتبيين ج١ ص١٠.

(١٥٣) البيان والتبيين ج١ ص ١٢.

(١٥٤) البيان والتبيين ج١ ص ٣١.

(١٥٥) البيان والتبيين ج٣ ص ٤٠.

(١٥٦) البيان والتبيين ج٣ ص ٢٢٣.

(١٥٧) أنظر على سبيل المثال الجزء الأول من ص ١٧٦ حتى ص ١٩١.

(١٥٨) البيان والتبيين ج٣ ص ١١١.

(١٥٩) البيان والتبيين ج ٣ ص ٧٥.

(١٦٠) البيان والتبيين ج ٣ ص ١١٦ ، ١١٧.

(١٦١) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٦ ، ٦٧.

(١٦٢) البيان والتبيين ج٣ ص ٥٥ وانظر نماذج أخرى لهذا المثال ج٣ ص ٥٢، ٥٣، ١٢٤+ ج٤ ص ٥٥.

(١٦٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢١، ٢٢.

(١٦٤) البيان والتبيين ج١ ص ٥.

(١٦٥) نفسه : ٣٠/١.

(١٦٦) ٣٨/١.

(١٦٧) ٣٨/١.

(١٦٨) ٣٨/١.

(١٦٩) ٣٩/١.

(١٧٠) ٣٩/١.

(١٧١) ٣٩/١.

(١٧٢) ٤٦/١.

(١٧٣) انظر د. محمد مندور الأدب وفنونه. القاهرة - دار نهضة مصر - د. ت.

(١٧٤) البيان والتبيين ١ /٤٩.

(١٧٥) البيان والتبيين ج٣ ص ٣١٨-٣١٩.

(١٧٦) البيان والتبيين ج٣ ص ١٤٦.

(١٧٧) انظر على سبيل المثال البيان والتبيين ص ١٠٠ و ١٠١ و ١١٥ و ١٤٤ و ٣٤٥و ٣٤٦ و ج ٤ ص ٤٣ و ٤٤ و ٧٥ و ٩٧.

(١٧٨) ٣١/١.

(١٧٩) ٤٢/١.

(١٨٠) ٤٢/١.

(١٨١) ٥١/١.

(١٨٢) البيان والتبيين ج٣ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(١٨٣) البيان والتبيين ج٣ ص ٤١.

(١٨٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٧.

(١٨٥) البيان والتبيين ج٣ ص ٢٤، ٢٥، ٢٦.

(١٨٦) ٣٧/٣.

(١٨٧) ٢١/١.

(١٨٨) ٢٢/١.

(١٨٩) ٢٣/١.

(١٩٠) نفسه ٢٥/١.

(١٩١) ٢٧/١.

(١٩٢) ٣٢/١

(١٩٣) النظريات اللسانية والبلاغية عند الصغير بنانى - بيروت. دار الحداثة ١٩٨٦ ط١، ص ٢٠٠-٢٠١.

(١٩٤) البيان والتبيين: ج١ ص٨١-٨٢.

(١٩٥) البيان والتبيينج١ ص٣.

(١٩٦) البيان والتبيين١ ص٣.

(١٩٧) البيان والتبيين ج١ ص٣ وما بعدها.

(١٩٨) البيان والتبيين ج١،ص٨٥،٨٦.

(١٩٩) البيان والتبيين ج١ ص١٥-١٦.

(٢٠٠) انظر ج١ ص ٢٥-٣٣

(٢٠١) انظر ج١ ص٣٥.

(٢٠٢) انظر ج١ ص٣٧،٣٨.

(٢٠٣) البيان والتبيين ج١ ص ٦٥.

(٢٠٤) البيان والتبيين ج١ ص٧١.

(٢٠٥) انظر البيان واتبيين ج١ ص ٧٩.

(٢٠٦) انظر البيان والتبيين ج٢ ص ٢٢٥-٢٧٨ وصفحات ٣٤٤ حتى ٣٦٤.

(٢٠٧) البيان والتبيين ج١ ص ٣٨٥.

(٢٠٨) البيان والتبيين ج١ ص ٨٢.

(٢٠٩) البيان والتبيين ج١ ص ٨٢.

(٢١٠) البيان والتبيين ج٣ ص ٤٣.

(٢١١) البيان والتبيين ج٣ ص ٦٧-٦٨.

(٢١٢) البيان والتبيين ج٣ ص ٥٠-٥١.

(٢١٣) النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب . ص ٢٠١.

(٢١٤) البيان والتبيين ج١ ص٢٠٠.

(٢١٥) البيان والتبيين ج١ ص ٧٦.

(٢١٦) البيان والتبيين ج١ ص ٨٣.

(٢١٧) البيان والتبيين ج١ ص ١٩١.

(٢١٨) انظر البيان والتبيين ج١ من ص ٨٨ حتى ٩٩.

(٢١٩) البيان والتبيين ج١ من ص ٩٨ حتى ١٦٦ . ومواضع أخرى انظـــر ج١ ص ٢٥٤ وصفحات ٢١٠ ومل بعدها ... إلخ.

(٢٢٠) ج١ ص ٢٤٨.

(٢٢١) انظر صفحات ٢٥٧-٢٧٦-٢٨٤-٢٩٧.

(٢٢٢) الأسلوب والأسلوبية- بيير جورو ترجمة منذر عياش. بيروت، مركز الاتحاد القومـــي ١٩٩٢م من ص ٦٢ حتى ٦٨.

(٢٢٣) البيان والتبيين ج١ ص ١٠٧.

(٢٢٤) البيان والتبيين ج١ ص ١٠٧.

(٢٢٥) البيان والتبيين ج١ ص ١٠٨.

(٢٢٦) البيان والتبيين ج١ ص ١٢٠ وما بعدها.

(٢٢٧) البيان والتبيين ج١ ص ١٢٤.

(٢٢٨) البيان والتبيين ج١ ص ١٤٧.

(٢٢٩) البيان والتبيين ج١ من ص ١٤٩ حتى ١٦٠.

(٢٣٠) البيان والتبيين ج١ ص ١٤٩.

(٢٣١) البيان والتبيين ج١ ص ١٧٦ حتى ١٩٣

(٢٣٢) البيان والتبيين ج١ ص ١٨٣.

(٢٣٣) البيان والتبيين ج١ ص ١٨٤.

(٢٣٤) البيان والتبيين ج١ من ص ٢٥٧ حتى ٢٧٥.

(٢٣٥) البيان والتبيين ج٣ من ص ٢٥ حتى ص ٢٠٢.

(٢٣٦) البيان والتبيين ج٣ ص ١٨٠.

(٢٣٧) البيان والتبيين ج٣ ص ١٨٣.

(٢٣٨) السابق نفسه ص ١٨٣.

(٢٣٩) السابق نفسه ١٨٥.

(٢٤٠) البيان والتبيين ج ٤ ص ٢١. وانظر من ص ١٦ حتى ص ٥٨.

(٢٤١) البيان والتبيين ج٣ ص ٣١٨.

(٢٤٢) البيان والتبيين ج١ ص ١٢٥.

(٢٤٣) البيان والتبيين ج٣ ص ٧٥.

(٢٤٤) البيان والتبيين ج٣ ص ١٠١.

(٢٤٥) البيان والتبيين ج١ ص ١٥٠.

(٢٤٦) قضايا الشعرية.. رومان جاكسبون. ترجمة محمد الولي ومبارك جنوز. الدار البيضاء/ دار توبقال للنشر ١٩٨٨ ط١ ص٢٧.

(٢٤٧) السابق ص ٣٠.

(٢٤٨) البيان والتبيين ج٣ ص ٣٦٦.

(٢٤٩) البيان والتبيين ج٤ ص ٥.

(٢٥٠) البيان والتبيين ج١ ص ٣٦٢ حتى ٣٦٦.

(٢٥١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٩٩.

(٢٥٢) البيان والتبيين ج١ ص ٢٤٤ حتى ص ٢٤٧.

(٢٥٣) البيان والتبيين ج١ ص ٣٨٥.

(٢٥٤) البيان والتبيين ج٢ ص ٢٢٥ حتى ص ٢٤٦.

(٢٥٥) البيان والتبيين ج٤ من ص ١٦ حتى ٥٨.

(٢٥٦) البيان والتبيين ج٢ ص ٢٢٧.

(٢٥٧) البيان والتبيين ج٢ ص ٢٣٥.

(٢٥٨) البيان والتبيين ج٣ ص ١٤٤.

(٢٥٩) البيان والتبيين ج٣ ص ٤٩-٥٠.

(٢٦٠) البيان والتبيين ج١ ص ٧٦.

(٢٦١) انظر قضايا الشعرية ص ٣٣.

* *

المصادر والمراجع

١- إبراهيم عزاز إبراهيم: شعر عبس فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة - رسالة ماجستير- كلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٧٥.

٢- أحمد محمد الحوفى: الجاحظ- القاهرة- دار المعارف- الطبعة الأولى ١٩٨٠.

٣- الأصمعى: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك- الأصمعيات- تحقيق وشرح محمود شاكر وعبد السلام محمد هارون- القاهرة - دار المعارف ١٩٧٩م.

٤- أيمن محمد سيدان: شعر تغلب فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة - رسالة ماجستير- كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٩١م.

٥- البحترى: الوليد بن عبادة . ديوان الحماسة بعناية كمال مصطفى- المكتب التجارى - القاهرة ١٩٢٩. بيروت دار الكتاب العربى ١٩٦٧م.

٦- بيير جورو: الأسلوب والأسلوبية- ترجمة منذر عياش بيروت- مركز الاتحاد القومى ١٩٩٢م.

٧- التبريزى: محمد بن عبد الله الخطيب- شرح اختيارات المفضل بن محمد الضبى- تحقيق فخر الدين قباوة- دمشق- مجمع اللغة العربية ١٩٦٨.

٨- أبو تمام: حبيب بن أوس الطائى - الحماسة - تحقيق عبد المنعم أحمد صالح- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ١٩٩٦م.

٩- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر - البيان والتبيين- تحقق عبد السلام محمد هارون- القاهرة- مكتبة الخانجى ١٩٧٥م.

١٠- جميل بن معمر: ديوان جميل- شاعر الحب العذرى- تحقيق حسين نصار القاهرة- مكتبة مصر ١٩٧٩م.

١١- جرير بن عطية الخطفى- ديوان جرير- تحقيق نعمان محمد أمين القاهرة- دار المعارف١٩٦٦م.

١٢- حسن عيسى أبو ياسين :شعر همدان فى الجاهلية والإسلام- جمع وتحقيق ودراسة- رسالة دكتوراه- كلية الآداب جامعة القاهرة- ١٩٨١م.

١٣- رومان جاكبسون: قضايا الشعرية- ترجمة محمد الولى ومبارك جنوز الدار البيضاء- دار توبقال للنشر ١٩٨٨- الطبعة الأولى.

١٤- أبو زيد القرشى: جمهرة أشعار العرب- تحقيق على محمد البجاوى- القاهرة- دار نهضة مصر ١٩٦٧م.

١٥- سحيم عبد بنى الحسحاس: ديوان سحيم- صنعة نفطويه أبى عبد الله إبراهيم بن عرفة الأزدى- تحقيق عبد العزيز الميمنى- القاهرة دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

١٦- السكرى : الحسن بن الحسين- ديوان الهذليين- تصحيح أحمد الزينى القاهرة- دار الكتب المصرية ١٩٩٥م.

١٧- ابن سلام الجمحى : محمد بن سلام- طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاكر- القاهرة- مكتبة الخانجى ١٩٧٤م.

١٨- سلامة عبد الله السويدى: شعر قبيلة ذبيان فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة- رسالة ماجستير- كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٧م.

١٩- شوقى ضيف: العصر الجاهلى - القاهرة- دار المعارف.

٢٠- عبد الحميد محمود المعينى: شعر تميم فى الجاهلية- جمع وتحقيق ودراسة - رسالة دكتوراه - كلية الآداب جامعة القاهرة- ١٩٧٩م.

٢١- عبد العزيز محمد الفيصل:

- شعر شعراء بنى قشير فى الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموى
- جمع وتحقيق ودراسة -رسالة ماجستير- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- د.ت.
- شعر بنى عقيل فى الجاهلية والإسلام- جمع وتحقيق ودراسة - رسالة دكتوراه- كلية دار العلوم - جامعة القاهرة- د.ت.

٢٢- عثمان محمد عثمان: شعر مزينة فى الجاهلية-جمع وتحقيق ودراسة -رسالة ماجستير- كلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٨٩م.

٢٣- عصام كمال السيوفى: الانفعالية والإبلاغية فى البيان العربى - دار الحداثة للطباعة والنشر- بيروت- الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦.

٢٤- ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- معجم مقاييس اللغة- تحقيق عبد السلام هارون- بيروت- دار الجيل- الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٢٥- فوزى عطوى: الجاحظ دائرة معارف عصره- دار الفكر العربى- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٢٦- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة- الشعر والشعراء- تحقيق محمود شاكر- القاهرة- دار الحديث ١٩٩٦.

٢٧- المبرد: محمد بن يزيد- الكامل- تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم والسيد شحاته- القاهرة- مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦م.

٢٨- محمد بركات حمدى أبو على : الأصول الأدبية فى كتاب البيان والتبيين – مكتبة الرسالة الحديثة- الأردن- عمان ١٩٧٩م.

٢٩- محمد الصغير بنانى: النظرية اللسانية والبلاغية عند العرب –بيروت- دار الحداثة- الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٣٠- محمد منذور: ألأدب وفنونه –القاهرة- دار نهضة مصر- د.ت.

٣١- محيى الدين اللاذقانى: آباء الحداثة العربية- مدخل إلى عوالم: الجاحظ والحلاج والتوحيدى –القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

٣٢- مروان بن أبى حفصة: شعر مروان بن أبى حفصة : جمعه وحققه وقدم له: حسين عطوان- القاهرة- دار المعارف- ١٩٨٢م.

٣٣- المفضل الضبى: المفضليات-تحقيق وشرح محمود شاكر وعبد السلام هارون- القاهرة- دار المعارف ١٩٩٣م.

٣٤- ابن منظور: لسان العرب –القاهرة- دار المعارف- د.ت.

٣٥- نورى جعفر: كتابان : بين الجاحظ وجورج برناردشو ، وجائزة نوبل - بغداد- وزارة الثقافة والإعلام- ١٩٩٠م.

٣٦- وفاء فهمى محمود : شعر طيئ فى الجاهلية والإسلام- جمع وتحقيق ودراسة - د.ت - د. ن.

* * *